
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
صحراء الدم

١ ــ الصفقة ..

مالت الشمس إلى المغيب ، في تلك البقعة الممتدة إلى ما لانهاية ، من الصحراء المكسيكية ، وراحت أضواؤها المحتضرة الشاحبة تلقى الظلال الأخيرة على ذلك الطريق ، الذى يشق الصحراء نصف الجبلية ، رابطًا ما بين مدينتى (مونكلوفا) و (ساليتلو) ، والذى بدا في تلك اللحظة صامتًا ، خاليًا مقفرًا ، قبل أن تضاف إلى المشهد سيارة صغيرة ، أشبه بسيارات السباق ذات المقعدين ، وهى تنطلق بسرعة فائقة ، عبْر الطريق نصف الممهّد ، وكأنها تسابق أضواء الشمس الأخيرة ، قبل أن تتوارى خلف أحد المرتفعات الصخرية ، ويحلّ المساء على تلك البقعة المقفرة ، من بقاع (المكسيك) ..

وداخل السيارة ، كان هناك رجل أشقر الشعر ، عسلىّ العينين ، ذو بشرة وردّية ، تشير إلى انتمائــه للسلالات الأوروبية ، يجلس هادئًا ، يدخن سيجارة من نوع أمريكى

شهير ، وهو يراقب الطريق فى إمعان تام ، فى حين راح جاره يدير عجلة القيادة فى مهارة ، وهو يتفادى تلك الحفر غير المنتظمة ، التى تلوح فى الطريق القديم ، ما بين لحظة وأخرى ، وقد بدا ـ على خلاف زميله ـ شديد التوتر والعصبيَّة ، أسمر البشرة ، يحمل الملامح الشرقية التقليدية ، باستثناء عينيه الزرقاوين ، اللتين بدتا متناقضتين مع ملامحه على نحو واضح ، واللتين ضاقتا كثيرًا ، وهو يقول فى عصبيَّة ، باللغة العبرية :

ـ اللَّعنة !!.. ألم يجد هذا الوغد أفضل من طريق الرعب هذا ، للاتفاق على صفقته ؟

ابتسم الأشقر ابتسامة باردة ، وهو يغمغم :

ـ هذا شأنه .

وسَحَب نفسًا قويًا من سيجارته ، ونفَثَ دُخانها فى الهواء فى عمق ، قبل أن يتابع بنفس البرود :

ـ إنه يعلم أن الملعب يتبعه هذه المرَّة ، وهو يحب استغلال هذا إلى أقصى حد .

غمغم الأسمر فى حَنَق :

ـ تبًا لك أنت الآخر يا (إفرايم) .. إنك تتحدث كما لو أنها لُعبة ، أو مباراة من مباريات البيسبول !

أطلق (إفرايم) ضحكة قصيرة باردة ، وهو يقول :

ـ إنها كذلك بالفعل يا عزيزى (جوليات) .. صحيح أنها لُعبة بالغة الخطورة ، ولكنها لُعبة .. ووجودنا هنا جزء منها .

عقد (جوليات) حاجبيه فى حَنَق ، وهو يتمتم :

ـ اللَّعنة !!

تابع (إفرايم) فى برود ، وكأنه لم يسمع ذلك التعليق :

ـ وهذا الوغد ـ كما تسميه ـ يملك كل قواعد اللُّعبة حتى الآن ، ولقد أصرَّ أن يديرها فى ملعبه أيضًا ، حتى يضمن السيطرة الكاملة علينا .

أطلق (جوليات) زفْرة حَنَق ، وغمغم وهو يلوِّح بكفِّه أمامه :

ـ ملعبه ؟!.. يا للسخافة !! انظر إلى ذلك الملعب ، ما إن تغرب الشمس حتى يغرق ذلك الملعب فى ظلام دامس ، وتغادر الذئاب والثعالب جحورها ، بحثًا عن فرائسها ، واشتهاءً لرائحة الدم .. ألم تفكِّر لحظة فيما يمكن أن يحدث ، لو تعطلت السيارة مثلًا .

غمغم (إفرايم) فى برود :

ـ سنخسر الصفقة .

هتف (جوليات) فى سُخط :

ـــ فلتذهب الصفقة إلى الجحيم .

انعقد حاجبا (إفرايم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ حذار أن تتجاوز حدودك يا (جوليات) ، ولا تنس أن هذه الصفقة تعنى نقطة تفوُّق لشعبنا ، فى مواجهة أولئك العرب ، الذين يحيطون بنا من كل جانب ، ونحن نحتاج إلى كل نقطة تزيد من قوتنا أمامهم .

غمغم (جوليات) فى حَنَق :

ـــ سأقتل ذلك الوغد إذن ، بعد أن نتم الصفقة .

أجابه (إفرايم) فى صرامة :

ـــ ولا هذا أيضًا يا (جوليات) ، فـ (بانشو) من أفضل عملائنا فى هذه المنطقة ، وهو يملك بعض الاتصالات القوية مع أحد علماء هيئة الطاقة الذرية الأمريكية ، ونحن نحتاج إلى هذه الاتصالات إلى الأبد .

مطَّ (جوليات) شفتيه الغليظتين ، وقال فى حِدَّة :

ـــ اللعنة !

ثم أطبق شفتيه ، ولم يضف حرفًا آخر ، ولم يتبادل مع (إفرايم) كلمة واحدة ، وإن بدا شديد الحَنَق ، عصبى

الانفعالات ، وهو يقطع ما بقى من الطريق ، وسط ظلام دامس ، لا يقطعه إلا ضوء مصباحى السيارة ، التى تضاعفت سرعتها ، حتى بلغت بقعة خاصَّة ، فى منتصف الطريق إلى (سالينلو) تقريبًا ، فغمغم (إفرايم) فى حزم :

ـــ هنا .

لم يكد يتم كلمته ، حتى انحرف (جوليات) يسارًا فى حدَّة ، واندفع فى اتجاه عمودىّ على الطريق ، مثيرًا عاصفة من التراب والرمال ، حتى صاح به (إفرايم) فى حَنَق :

ـــ ماذا تفعل أيها الأبله ؟

ابتسم (جوليات) فى خُبث ، وهو يقول :

ـــ لقد كنت أتساءل عما إذا كنت تفقد أعصابك مثلنا .

ثم أشار إلى بقعة ضوئية ، تختفى خلف مرتفع صخرىّ قريب ، وهو يستطرد فى حَنَق ، دون أن يلتفت إلى (إفرايم) :

ـــ ها هو ذا (بانشو) ..

أوقف سيارته إلى جوار بقعة الضوء ، التى لم تكن سوى عاكس ضوئى بسيط من ذلك النوع الذى يُستخدم عادة فى الطرق السريعة ، فتمتم (إفرايم) ، وهو يتلفَّت حوله فى حَذَر :

ـــ أين ذلك الوغد ؟

ارتفع فجأة صوت حاد ، من خلف العاكس ، يقول في سخرية ، وبلغة أمريكية ذات لكنة مكسيكية :

— هنا يا سنيور (إفرايم) .. هنا .

عقد (جوليات) حاجبيه في دهشة ، وهو يحدق في ذلك الرجل النحيل القصير ، الذي ظهر من خلف العاكس ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، بدت مع وجهه الأسمر الممصوص ، وشفتيه الغليظتين ، وكأنها تلتهم الوجه كله ، في حين تراجع (إفرايم) في حركة حادة ، عندما عبرت فوهة مدفع آلي نافذة السيارة المجاورة له ، والتصقت بعنقه ، فهتف في حدة وتوتر :

— ما معنى هذا ؟ .. إننا على موعد مع سنيور (بانشو) !

أجابه الأسمر النحيل ، دون أن يفقد ابتسامته العريضة :

— إنه احتياط فحسب يا سنيور (إفرايم) .

ثم أشار إلى صاحب المدفع الآلي ، فتراجع في هدوء ، وإن ظل يصوب مدفعه إلى (إفرايم) ، في حين كان (جوليات) يدير عينيه في عشرات الرجال ، الذين بدوا كالأشباح ، وهم يحيطون بالسيارة من كل جانب ، وسط الظلام ، حاملين أسلحتهم ، وهتف في حنق :

— ما معنى هذا يا (بانشو) ؟.. إنها ليست أول مرة نلتقي فيها .

أطلق (بانشو) ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

— هذا صحيح يا سنيور (جوليات) .. إننا نتدرب على أسلوب أمني جديد .. هذا هو كل شيء .

ثم تقدم نحو السيارة ، ومد كفه يصافح (إفرايم) ، قائلًا :

— هل أغضبك هذا يا سنيور ؟

هتف (إفرايم) في سخط :

— بالطبع .

ابتسم (بانشو) ابتسامة خبيثة ، وقال :

— لن يستمر غضبكما طويلًا .. إنه سيتلاشى سريعًا ، عندما تعلمان ما لديَّ هذه المرة .

سأله (إفرايم) في خشونة :

— هل أحضرت تصميمات مولد الطاقة الذري ؟

هز (بانشو) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— لا .

ثم استدرك في سرعة :

— ولكنني أحضرت ما هو أفضل .

هتف (جوليات) فى حَنَق :

ــ اسمع أيها المكسيكى .. لقد أتينا إلى هنا ، وَعَبَرنا تلك الصحراء السخيفة القاحلة ، بناء على طلبك ، لنحصل على تصميمات المولِّد ، مقابل مليون دولار نقدًا ، ولن نحتمل ..

أوقفه (بانشو) بإشارة حادّة من يده ، وهو يقول فى هدوء :

ــ قلت لك إننى قد أحضرت ما هو أفضل يا سنيور .

انعقد حاجبا (جوليات) فى غضب ، وهو يهتف :

ــ اللّعنة !.. أنت مجرّد .....

قاطعه (إفرايم) فى حزم :

ــ رُوَيْدك يا (جوليات) .. دَعْنا نسمع ما لديه .

لوّح (بانشو) بكفّه ، وهو يقول بابتسامته الواسعة :

ــ رائع يا سنيور (إفرايم) .. هذا هو أسلوب الحوار الأمثل .

وانحنى أمامه فى أسلوب مسرحىّ فجّ ، وكأنما يحييه ، ثم اعتدل مستطردًا بابتسامة خبيثة :

ــ أتعلم يا مسيو (إفرايم) ؟ أتعلم يا مسيو (جوليات) ؟. أن جزءًا كبيرًا من سرّ تفوّق ، يعود إلى

قراءتى للتاريخ ، وقدرتى الفريدة على قراءة ما بين السطور ؟.
وبالنسبة لحربكم الطويلة مع العرب ، وهزيمتكم الأخيرة على أيدى المصريّين ، كانت هناك نقطة بالغة الأهمية .

بدا الضيق على وجهى (إفرايم) و(جوليات) ، وإن لم يقاطعاه ، وهو يستطرد بابتسامته المزهوّة القميئة :

ــ لقد تساءلت ، عند مراجعتى لتلك الحرب الأخيرة بينكم ، عن السرّ فى عدم استخدامكم قنبلة ذريّة ضدّ المصريّين ، فهل كان ذلك لأنكم لا تملكونها ؟.. أم لأنكم تخشون استخدامها ؟.. وعندما طرحت هذا السؤال على صديقى عالم الطاقة الذريّة ، أكّد لى أنه ، وعلى الرغم من اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية غير المفهوم بكم وبأمنكم ، إلا أنها لم تمنحكم بعد سرّ القنبلة الذريّة ، ولا القدرة على صنعها ، وأنكم لن تحاولوا استخدامها ، حتى لو أنكم تملكونها .. أتدرون لماذا ؟

مال نحوهما ، مضيفًا فى حزم :

ــ لأن هذا يشبه الانتحار .

اتسعت ابتسامته السخيفة ، وهو يتراجع فى فخر ، متابعًا :

— لو ألقيتم قنبلة ذرية واحدة فى المنطقة ، سيؤدى هذا إلى تلوث المنطقة كلها بالسُّحب والإشعاعات الذرية ، مما سيبدو أشبه بعملية تدمير جماعى شامل ، لكم ولهم .

تمتم (جوليات) فى حنق :

— ما معنى هذا يا (بانشو) ؟

تابع (بانشو) ، وكأنما لم يسمع السؤال :

— ولقد أكد لى صديقى هذا أن تلك المشكلة لم تعد واردة فى الوقت الحالى ، وأيد قوله بمنحى التصميمات الكاملة لنوع جديد من القنابل الذرية .

صمت لحظة ، ثم أضاف مبتسمًا :

— قنابل ذرية محدودة المدى .

تبادل (إبراهيم) و (جوليات) نظرة متوترة ، ثم هتف الأول فى انفعال :

— ماذا تعنى بحق الشيطان ؟

أجابه (بانشو) فى دهاء :

— قنبلة ذرية جديدة ، لا تطلق إلا طاقة محدودة للغاية من الأشعة الذرية ، بحيث لا تؤذى إلا الدولة التى تصيبها تقريبًا .

هتف (جوليات) ، وقد تفجر انفعاله للغاية :

— أحسنت يا (بانشو) .. أحسنت كثيرًا ، لقد كنت على حق عندما ......

قاطعه (بانشو) فى حزم :

— مليار دولار ..

اتسعت عينا الرجلين ، وهتف (إبراهيم) :

— ماذا تقول ؟

أجابه (بانشو) ، دون أن تفارقه ابتسامته :

— مليار دولار يا سنيور (إبراهيم) .. أريد مليارًا من الدولارات ، مقابل هذا التصميم .

هتف (جوليات) فى حنق :

— أجننت يا رجل ؟.. إنك ......

قاطعه (بانشو) فى صرامة :

— أظن المصريين على استعداد لدفع مليارى دولار ، مقابل عدم حصولكم على هذا التصميم يا سنيور (جوليات) .

رَانَ الصمت لحظات ، ثم هتف (إبراهيم) فى توتر :

— لسنا نملك حق التفاوض ، فى صفقة بهذا الحجم يا سنيور (بانشو) .



قالها واستدار إلى هليوكوبتر ، تنتظر على قيد أمتار ، ويحجبها الظلام تقريبًا ، وقفز داخلها ..

لوّح (بانشو) بكفه ، قائلًا في هدوء :

ـــ لا تتعجّلا .. استشيرا رؤساءكما ، وعودا إليّ هنا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد في حزم :

ـــ بعد أسبوع واحد فحسب ، وإلا يمكنكما اعتبار الصفقة في خبر كان .

قالها واستدار إلى هليوكوبتر ، تنتظر على قيد أمتار ، ويحجبها الظلام تقريبًا ، وقفز داخلها ، فارتفعت به على الفور ، مع هتاف (جوليات) :

ـــ انتظر أيها الـ .....

بتر عبارته لحظة ، قبل أن يسبّ ساخطًا ، في حين هتف (إلرايم) :

ـــ هيّا .

أسرعا إلى السيارة ، فقفز (إلرايم) في مقعد القيادة ، وهو يستطرد :

ـــ سأقود أنا هذه المرّة .

لم يكد (جوليات) يستقر في المقعد المجاور له ، حتى انطلق هو بالسيارة في سرعة جنونية ، جعلت (جوليات) يهتف :

ـــ ماذا هناك ؟.. لماذا تنطلق هكذا ؟

أجابه (إبرام) في انفعال شديد :

— لا وقت نضيعه يا (جوليات) .. إننا أمام صفقة العمر .. صفقة لا تضمن لنا التفوّق على جيراننا العرب إلى الأبد فحسب ، وإنما تمنحنا فرصة إبادتهم في ضربة واحدة أيضًا .. صدّقني يا زميلي العزيز .. إنها صفقة العمر .. وحُلم العمر ..

* * *



٢ ـ المهمَّة ..

ترقرقت دمعة حانية في عيني (منى توفيق) ، وهي تلوّح بيدها لطائرة (شركة مصر للطيران) ، التي أقلعت على الفوّر ، في طريقها إلى (فرنسا) ، وتمتمت في صوت بالغ الخفوت :

— وداعًا يا (جوزي) .. كم سيُوحشني فراقك !!

ابتسم (أدهم صبري) ، الذي يقف إلى جوارها ، وربّت على كتفها متعاطفًا ، وهو يقول :

— إننا ندين لها بالكثير يا (منى) ، فلولاها ما أمكننا أن نستعيد قدراتنا الجسدية ، بعد إصاباتنا العنيفة ، في معتقل الجنرال (أندريه) (*) و(**) .

قالها وهو يقودها في رفق إلى سيارته ، فغمغمت في تعاطف :

— أتظننا سنلتقي بها مرّة أخرى ، أو نجد وسيلة لردّ جميلها ؟

(*) راجع قصة (أسوار الجحيم) .. المغامرة رقم (٧٥) ..

(**) راجع قصة (عمالقة مارسيليا) .. المغامرة رقم (٧٧) ..

هزّ كتفيه ، وابتسم وهو يقول :

ــ العالم أصغر ممّا تتوقعين يا عزيزتى .

ثم أدار محرّك سيارته ، مستطردًا فى مرح :

ــ وإلا فما أصلحتْ عجوز من (مارسيليا) ، ما أفسده وغد أحمق من (تايوان) ، وما .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى نقطة ما أمامه ، فالتفتت إليه (منى) تسأله فى دهشة :

ــ لِمَ بترت عبارتك ؟

أشار إلى مذياع السيارة ، قائلًا :

ــ لقد عمل المذياع وحده .

سألته فى دهشة :

ــ وما معنى هذا ؟.. أأصابه خلل ما ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وانطلق بسيارته ، قائلًا فى حزم :

ــ لا .. لقد أصاب الخلل مواعيدنا نحن ، وتسبّب فى إلغاء دعوتى لك على العشاء ..

تطلّعت إليه فى حَيْرة ، وقبل أن تُلقى سؤالًا آخر ، كان يستطرد :

ــ وهذا يعنى أنهم يستدعوننا إلى الإدارة ، على وجه السرعة .

وبعدها لم يتبادلا حرفًا واحدًا ..

* * *

بدا مدير المخابرات العامة المصرية شديد الاهتمام ، وهو يستقبل (أدهم) و (منى) فى حجرته ، ويُشير إليهما بالجلوس ، قائلًا :

ــ يُسعدنى أن حضرتما بهذه السرعة .. أين استقبلتما الاستدعاء ؟

أجابه (أدهم) :

ــ فى سيارتى .

أومأ برأسه متفهّمًا ، وقال :

ــ عظيم .. اجلسا إذن ، فسنشاهد عرضًا للصوّر الثابتة .

جلس الاثنان فى اهتمام ، وضغط المدير زرًّا مجاورًا لمكتبه ، فأظلمت حجرته ، وسقط شعاع ضوئىّ من خلفه ، ليستقر فوق شاشة مقابلة للمكتب ، ويوضح صورة لرجل فى أواخر الأربعينات ، يرتدى معطفًا أبيض اللون ، ويبدو شديد النُّحول ، بالنسبة لأنفه الضخم ، وقال المدير :

ــ أنتما لا تعرفان هذا الرجل حتمًا ، فهو ليس شخصًا شهيرًا ، على الرغم من أنه أحد العلماء البارزين ، فى هيئة الطاقة الذريّة الأمريكية .

تمتم (أدهم) ساخرًا :

ــ رائع .. أيعنى هذا أنها مهمة نووية ؟

تجاهل المدير هذا التعليق ، وهو يقول فى جدية بالغة :

ــ إننا نراقب هذا الرجل منذ عام كامل ، بعد أن أثبتت تحرياتنا وجود علاقة مريبة ، بينه وبين جاسوس دولىّ وإرهابى مكسيكىّ معروف ، هو (بانشو سيلازر) ، ووجه الخطورة فى هذا هو أن ذلك الرجل الإرهابى المكسيكى يتعامل بصفة شبه دائمة مع (الموساد) .

لم يكد المدير يذكر اسم جهاز المخابرات هذا ، حتى اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وتألقت عيناه جذلًا وحماسًا ، وهو يقول :

ــ الأمر لا يحتاج إلى مزيد من الشرح يا سيّدى ، فهذا الوغد ، الذى يعمل فى هيئة الطاقة الذريّة ، يسرق أسرار الأمريكيّين ، وينقلها إلى الإرهابى ، الذى ينقلها بدوره إلى (الموساد) .

أجابه المدير :

ــ هذا صحيح ، فذلك العالم (موريس آنزيو) ، يبيع لـ (بانشو) كل ما يقع تحت يديه من أسرار ، وهذا الأخير

يبيعها بسعر أكثر ارتفاعًا لـ (الموساد) .. ولقد كنّا نضع خطّة لإحباط ذلك المسلسل السخيف ، لولا أن وقع مندوب لنا ، فى جهاز المخابرات المعادى ، على سرّ رهيب .

غمغمت (منى) وقد استحوذ الأمر على اهتمامها تمامًا :

ــ أى سرّ هذا يا سيّدى ؟

تراجع المدير فى مقعده ، وأطلق من أعماق صدره تنهيدة قويّة ، وهو يقول :

ــ لقد أنتجت الولايات المتحدة الأمريكية قنابل ذريّة ، ذات تأثير محدود .

اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!.. لا تقل لى إن هذا الحقير قد باع (الموساد) سرّ هذا الاختراع الرهيب !!

هزّ المدير رأسه ، مغمغمًا :

ــ ليس بعد .

ثم استطرد فى سرعة :

ــ يؤكّد مندوبنا فى (الموساد) ، أن (بانشو) يملك التصميمات بالفعل ، ولكنه يساوم رجال (الموساد) على مبلغ ضخم ، من أجل تسليمهم إيّاها ، ولقد حدّد موعدًا



غمغم (أدهم) ساخرًا :
— كم سيرُوق لى تحويله إلى فأر خائف !!

معهم فى مكان ما من (المكسيك) ، لإتمام الصفقة ، ولكن مندوبنا لم ينجح فى معرفة المكان ، أو المبلغ المطلوب ، كل ما علمه هو أن الصفقة ستتم بعد خمسة أيام من الآن ، وأن (الموساد) سيدفع المبلغ المطلوب ، عدًا ونقدًا ، مقابل الحصول على التصميمات ، التى تضمن لدولتهم التفوُّق على كل الدول العربية إلى الأبد .

غمغم (أدهم) :

— أو إبادتها .

التفتت إليه (منى) فى هلع ، فى حين عقد المدير حاجبيه ، مغمغمًا :

— نعم .. هذا احتمال وارد .

ثم ضغط زرّ جهاز العرض ، فانتقل المشهد إلى صورة رجل أسمر البشرة ، نحيل ، له شفتان غليظتان ، وفم واسع ، وقال المدير :

— هذا هو (بانشو) ، وهو رجل قاسى القلب كالحجر ، شديد الدهاء والحذر كالثعلب ، بالغ الخطورة كثعبان الكوبرا ، وحش شرس كذئب جريح .

غمغم (أدهم) ساخرًا :

— كم سيرُوق لى تحويله إلى فأر خائف !!

التفت إليه المدير ، وهو يقول فى حزم :

ــ ليس هذا هو المطلوب يا (ن ــ ١) .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ــ ما طبيعة المهمّة إذن يا سيّدى ؟

اعتدل المدير ، وهو يقول :

ــ أريد منك أن تصل إلى (بانشو) هذا ، وتعرض عليه شراء الصفقة بسعر أعلى .

غمغمت (منى) فى اهتمام :

ــ وماذا لو رفض ؟

أجابها المدير فى حزم :

ــ سيكون عليكما أن تحصلا على التصميمات بأيّة وسيلة ، أو .....

صمت لحظة ، فأكمل (أدهم) فى صرامة :

ــ أو اتباع مبدأ (شمشون) .. « علىّ وعلى أعدائى » ..

قال المدير فى حزم :

ــ بالضبط يا (أدهم) .. إن مهمّتكما تتلخص فى عبارة واحدة .. فلنحصل على التصميمات ، أو لا يحصل عليها أىّ مخلوق ، حتى ولو كان الثمن هو .....

صمت مرّة أخرى ، فأضاف (أدهم) مبتسمًا :

ــ موتنا .

أسرع المدير يقول :

ــ بعد تدمير التصميمات .

نهض (أدهم) ، وعاون (منى) على النهوض فى رفق ، مغمغمًا :

ــ اطمئن يا سيّدى .. لن يغمض لنا جفن ، قبل أن نحقّق أحد الهدفَين .

وهتفت (منى) فى حماس :

ــ معًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ نعم .. معًا كالأيام الخوالى .

تطلّع المدير إليهما فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ هل يسعدكما أن تكونا معًا إلى هذا الحدّ ؟

تضرّج وجه (منى) بحمرة الخجل ، فى حين قال (أدهم) فى حماس :

ــ بالطبع يا سيّدى .

ثم أردف فى لهجة حانية ، زادت من تضرج وجه (منى) :

— من ذا الذى يرفض رفقة ملاك ؟

وعندما غادر الاثنان حجرة مدير المخابرات ، كان هذا إيذانًا ببدء حرب جديدة ، من حروب (رجل المستحيل) .. حرب (صحراء الدم) ..

* * *



٣ — الوغد ..

سرت ارتجافة قوية فى جسد (منى) ، وهى تطأ بقدميها أرض مطار (مكسيكو) ، عاصمة (المكسيك) ، وتشبثت بذراع (أدهم) ، وهى تغمغم فى انفعال :

— يا إلهى !!.. كم يؤثر فىّ طول الابتعاد عن العمل .. إننى أشعر وكأنها مهمتى الأولى .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— حقًا ؟!.. أيعنى هذا أنك لم تقعى فى غرامى بعد ؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، ولكزته بمرفقها فى جنبه ، هاتفة :

— كفاك عبثًا .. لم أعد مبتدئة .

ضحك مرة أخرى ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. لِمَ أراك هكذا إذن ؟

ضحكت بدلالها ، وتأبطت ذراعه ، قائلة :

— أتعلم يا (أدهم) ؟. كان أسلوبك هذا يثير حنقى فيما مضى .

هتف فى استنكار مفتعل :

ــ ألم يعد يفعل ؟.. يا إلهى !.. ينبغى أن أكُفّ عنه إذن .

ضحكت مرّة أخرى ، وقالت :

ــ ليس عندما نوجّهه إلى أحد خصومنا .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، وهما يتوجّهان إلى خارج المطار ، وكل منهما يحمل حقيبة وحيدة ، وقد اصطبغ شعراهما بلون أشقر ذهبى ، وتحوّلت عينا (أدهم) إلى اللون الأزرق السماوى ، وعينا (منى) إلى لون يجمع ما بين العسلى والأخضر الزّرعىّ ، فى مزيج رائع ساحر ، وارتدت (منى) قرطًا ضخمًا ، ذا ألوان زاهية للغاية ، بدت ، على الرغم من تداخلاتها الصارخة ، متناسقة مع ملامحها الجميلة ، وقميصها الأحمر ، وسروالها الأزرق الأمريكى ، الذى منحها مظهر سائحة أمريكية ، فى حين كان (أدهم) يرتدى قميصًا مزركشًا فضفاضًا ، ومنظارًا شمسيًا داكنًا ، وسروالاً من نفس نوع (البلوجينز) الأمريكى ..

وعندما أصبحا خارج المطار ، غمغم (أدهم) :

ــ أتعلمين لماذا ألجأ إلى السّخرية مع خصومنا عادةً ؟

شعرت بشغف شديد لمعرفة الجواب ، فالتفتت إليه بكيانها كله ، هاتفة :

ــ لماذا ؟

ابتسم وهو يجيب فى هدوء :

ــ إننى أحاول التغلّب على خوفى .

هتفت فى دهشة واستنكار :

ــ خوفك ؟!

ثم أطلقت ضحكة عالية مجلجلة ، وأضافت :

ــ خِلْتُك ستخبرنى بالسبب الحقيقى .

مال نحوها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ مُحال يا عزيزتى ، فربما كان فضولك هو الذى يدفعك إلى الالتصاق بى دومًا .

لكزته بمرفقها مرّة أخرى ، وهى تقول :

ــ أيها العابث .

ضحك قائلاً :

ــ لا بأس من بعض المرح ، قبل أن نبدأ المذبحة يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها ، وهى تغمغم فى توتر :

ــ المذبحة ؟!.. يا له من تعبير يا (أدهم) !

ثم زفرت فى قوة ، مستطردة :

— ولكن مَنْ يدرى ؟!.. ربما كُنّا نسعى بالفعل إلى مذبحة . .

استعاد جدّيته وهو يقول :

— السؤال الآن هو كيف نذهب إليها بصورة طبيعية ، ودون أن نضيع وقتًا أيضًا ، فلقد استغرق انتقالنا إلى هنا يومًا كاملًا ، وهذا يَعْنى أنه أمامنا أربعة أيام فحسب ، قبل إتمام الصفقة ، ومن الضرورىّ أن نصل إلى ذلك الوغد (بانشو) ، فى (ساليطو) ، قبل هذه الفترة .

غمغمت فى حماس :

— إننا فى (المكسيك) الآن ، ويمكننا أن نصل إليه خلال ساعات .

هزّ رأسه ، قائلًا :

— الأمر ليس بهذه البساطة يا عزيزتى ، فلقد بدأت المعركة ، وفى كل الحروب ، لا يكون هناك مجال للرحمة ، أو للخوف ، وتكون كل العيون متحفزة ، وكل الأصابع متوترة فوق أزندة المدافع ، ومن الواقعية أن نفترض أن (بانشو) هذا يدرك خطورة لُعبته هذه المرّة ، بحكم كَوْنه محترفًا ، ويدرك أيضًا ضرورة اتخاذ كل أساليب الحَيْطة والحذر ،

وأمثاله يسرفون عادة فى الشك ، فى مثل هذه الظروف ، حتى أنه لن يتردّد فى قتلنا لمجرّد الشك ، بدلًا من أن يشعر بأدنى قلق تجاهنا .

سَرَت تلك الارتجافة فى جسدها مرّة أخرى ، وغمغمت :

— وما الذى يَعْنيه هذا ؟

أجابها فى حزم :

— يَعْنى أنه لا توجد سوى وسيلتين لبلوغ هذا الوغد .. إمّا أن نصل إليه ، دون أن يشك فى أمرنا ، أو ......

بتر عبارته ، وانتظر ، ممّا أثار انفعالها فى شِدّة ، فسألته :

— أو ماذا ؟

التفت إليها بعد أن طال صمته بضع لحظات أخرى ، وأطلّ من عينيه بريق تعرفه جيدًا ، وبدا لها صوته حاملًا لتلك اللهجة الحازمة ، التى تثير الرجفة فى أوصالها دومًا ، وهو يقول فى عمق :

— أو نهبط على رأسه فجأة .. كالصاعقة .

* * *

حلّقت هليوكوبتر صغيرة ، فوق الصحراء المكسيكية الجبلية الرهيبة ، فى طريقها من (مكسيكو) إلى

(ساليطو) ، وراح قائدها الأمريكي يُطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، يشبه أحد الألحان الأمريكية الكلاسيكية القديمة ، وهو يدير عينيه في الصحراء القاحلة ، الممتدة إلى ما لانهاية ، وقد خلت نظراته من أيَّة انفعالات ، حتى بلغ مرتفعًا صخريًا ، ذا قمة مسطحة ، بدت وكأنها مُمهَّدة كمهبط لطائرته ، فدار حول المرتفع ، وهو يلتقط ميكروفون جهاز اللاسلكي ، ويقول في آلية ، تحمل لكنة ساخرة ، بدت وكأنها تلتصق بكلماته عادة :

ـ افتحوا الأبواب أيها السادة .. لقد وصل قطار البريد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث من أسفله أزيز مرتفع ، جعله يغمغم في سُخرية ، بعد أن أغلق جهاز اللاسلكي :

ـ يا لها من سِرِّيَّة !.. إن صوت ذلك المدخل السِّرِّيّ يشبه صوت انفجار مخزن قطارات ، في وقت ساد فيه السُّكون .

قالها وهو يتطلَّع أسفله إلى قمة المرتفع ، وقد انشقت إلى نصفين ، كاشفة مهبطًا آخر للهليوكوبتر ، ينخفض عنها بستة أمتار ، فزفر في سُخرية ، وهبط بالهليوكوبتر ، ليستقر فوق

ذلك المهبط السفليّ ، ثم توقف محركات الهليوكوبتر ، في الوقت الذي راحت فيه قمة المرتفع تغلق من فوقه في بطء ، وهبط هو من الهليوكوبتر ، وهو يحمل حقيبة كبيرة ، دفعها إلى أحد الرجال الذين أحاطوا به ، قائلًا :

ـ هيَّا .. احملها إلى زعيمك ، الذي يهوى اللَّعب بالكمبيوتر .

أتاه صوت صارم من خلفه ، يقول في غضب :

ـ لا تسخر من هذا يا سنيور (ألفريدو) .

التفت الطيار في حِدَّة إلى مصدر الصوت ، وتراجع هاتفًا :

ـ آه .. معذرة يا سنيور (بانشو) .. إنني لم أتوقَّع أن ......

قاطعه (بانشو) في صرامة :

ـ ينبغي أن تتوقَّع وجودي في أي مكان ، وأي زمان يا سنيور (ألفريدو) .

تمتم الطيار في توتُّر :

ـ معذرة يا سنيور (بانشو) .. معذرة .

ظلت ملامح (بانشو) تحمل قدرًا هائلًا من الصرامة لحظات ، ثم أشار إلى الحقيبة التي يحملها أحد رجاله ، قائلًا :

— إنها ليست لُعبة يا سنيور (ألفريدو) .. إننا نمتهن مهنة بالغة الخطورة يا سنيور ، وخاصّة فى عصرنا هذا ، حيث أصبح التقدُّم العلمى والتكنولوجى هو أفضل وأقوى الجواسيس، وأصبحت حربنا حرب حضارة وعلم .

ثم أشار إليه ، مستطردًا فى حزم :

— اتبعنى .

تبعه الطيّار فى ضيق ، وهو يلعن حظه العاثر ، الذى جعل (بانشو) يستمع إلى عبارته الساخرة ، فى حين تبعهما الرجل الذى يحمل الحقيبة ، حتى بلغ الثلاثة حجرة متوسطة ، تحوى عددًا من أجهزة الكمبيوتر ، فوضع الرجل الحقيبة ، وأدّى تحية عسكرية لـ (بانشو) ، ثم انصرف فى سرعة ، فأشار (بانشو) إلى أحد أجهزة الكمبيوتر ، قائلًا :

— وفى عمليتنا هذه بالذات ، يا سنيور (ألفريدو) ، ينبغى أن نتوقّع تدخُّلًا من المصريين ، حيث إنهم أقوى من يتصدّى لـ (الموساد) ؛ لذا فقد طلبت من (إفرايم) و (جولبات) تزويدى بملف كامل عن كل من يملكون أيّة معلومات عنه ، من رجال المخابرات المصرية ، ووضعت هذا الملف داخل جهاز كمبيوتر خاص ، يحوى شاشة متميّزة ،

وطابعة ليزرية ، يمكنها التقاط أيّة صورة ، لأى مخلوق فى العالم ، وتحليلها فى سرعة فائقة .

صمت لحظة ، وهو يفتح الحقيبة ، ويلتقط منها عددًا من البطاقات ، تحوى كل منها صورة ملوّنة لشخص ما ، مع عدد من البيانات ، ثم استطرد :

— والمنطق الطبيعى يقول : إنه نظرًا لضيق الوقت ، فالوسيلة المثلى أمام المصريين ، للوصول إلى هنا ، فى حال معرفتهم بأمر الصفقة ، بوسيلة أو بأخرى ، هى الطائرات ، وهذا يعنى أننا نستطيع أن نحصل على صُوَر كل من يصل إلى (مكسيكو) جوًّا ، عن طريق مندوبنا وعملنا هناك ، فى المطار .

تمتم الطيّار فى ضجر :

— وهذا ما يحدث فى انتظام ، وأنا أحمل البيانات والصُّور يوميًّا إلى هنا .

رفع (بانشو) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— ولكنك لا تعلم ما الذى نفعله بها بعد ذلك .

ثم عاد يشير إلى أجهزة الكمبيوتر ، مستطردًا :

— وهذه فرصتك لتعلم ، ولتعرف أى تقدُّم بلغناه ، فى مجال كشف الجواسيس .



قالها وهو يضغط أحد أزرار الكمبيوتر ، فارتسمت على الشاشة صورة أحد ركاب الطائرة ، وإلى جوارها كل ما حملته بطاقته من معلومات ..

واتجه نحو أحد الأجهزة ، وهو يستطرد فى لهجة متعالية نوعًا :

— انظر هذا الجهاز مثلًا .. إننى أحمل كل البطاقات التى أحضرتها أنت من المطار ، وأضعها تحت شاشة طابعته الليزرية ، وأنتظر .

قالها وهو يضغط أحد أزرار الكمبيوتر ، فارتسمت على الشاشة صورة أحد ركاب الطائرة ، وإلى جوارها كل ما حملته بطاقته من معلومات ، ثم أضاف إليها الكمبيوتر كلمـة (سلبى) ، وراح يستعرض باقى الصُّور بنفس الوسيلة ، والطيار يحدِّق فى شاشته مبهورًا ، ممَّا دفع (بانشو) إلى الابتسام فى زهو ، قائلًا :

— لقد كلَّفنى ربع مليون دولار دفعة واحدة .

عقد الطيار حاجبيه ، وهو يقول :

— إنه أمريكى الصنع .. أليس كذلك ؟

ابتسم (بانشو) فى سخرية ، قائلًا :

— بل يابانى .

لم يكد يتم عبارته ، حتى أطلق الكمبيوتر صفيرًا متصلًا مزعجًا ، وتركَّزت على شاشته صورة سائح أمريكى أشقر

الشعر ، أزرق العينين ، فالتفت إليه (بانشو) فى حِدّة ، وهو يهتف فى شراسة ، جعلته أشبه بذئب مفترس :

— آه !! يبدو أننا قد وقعنا على صيد هذه المرّة ، و .....

بتر عبارته على نحو قاطع ، وهو يحدّق فى شاشة الكمبيوتر ، التى حملت إشارة حمراء كبيرة ، تقول :

— إيجابىّ .. من النوع الخطر .. درجة التنكّر فائقة ..

انعقد حاجبا (بانشو) فى شِدّة ، وهو يتابع شاشة الكمبيوتر فى اهتمام مبالغ ، حيث راحت صورة السائح الأمريكى تتبدّل فى سرعة ، ففقد شعره اللون الأشقر ، واستحال إلى لون أسود فاحم ، واصطبغت العينان بسواد مماثل ، وتقلّص الأنف بعض الشىء ، وبدت الصورة لشاب وسيم الطلعة ، واضح القوّة والذكاء ، وكتبت شاشة الكمبيوتر إلى جوارها :

— الاسم (أدهم صبرى) .. الرمز الكودىّ : (ن — ١) .. الانتماء : مصرىّ .. المخابرات المصرية .. التصنيف : بالغ الخطورة والقوّة والذكاء .. المهارات : إجادة تامة لكل فنون القتال اليدوىّ ، قدرة مدهشة على استخدام جميع أنواع الأسلحة ، سرعة استجابة فائقة ، معرفة ممتازة بسبع لغات حيّة ، مهارة لا حدّ لها فى التنكّر ، إن .....

راح الكمبيوتر يرصُّ ما لديه من معلومات عن (أدهم صبرى) ، وراح يعدّد مهاراته ونقاط تفوّقه ، حتى هتف (بانشو) :

— مستحيل !!.. لا يوجد مخلوق واحد فى الكَوْن كله ، يملك كل هذه المهارات مجتمعة .. لقد أصيب هذا الكمبيوتر اللعين بالجُنُون حتمًا ..

غمغم الطيّار فى انبهار :

— ولكن هذا الاسم .. لقد .. لقد .....

صاح به (بانشو) فى حَنَق :

— لقد ماذا .. ماذا لديك عن صاحب هذا الاسم ؟

ازدرد الطيّار لُعابه فى صعوبة ، وغمغم فى اضطراب بالغ :

— أنت تعلم أننى قبل أن أنتقل للعمل لديك ، كنت أعمل لحساب (جيمس براند) ، ملك (تكساس) ، حتّى حطّمه رجل (سوبرمان) فى (لاريدو) ، وحطّم معه (جروشومانيانى) ، و .....(*) .

قاطعه (بانشو) فى عصبيّة :

— إننى أعلم هذه القصة .. كلنا نعلمها .. وماذا بعد ؟

(*) راجع قصة (انتقام العمالقة) .. المغامرة رقم (١٨) .

ازدرد الطيار لعابه مرة أخرى في صعوبة ، وقال :

ـــ لقد كان نفس الرجل .

أدرك (بانشو) ما يعنيه القول على الفور ، وعلى الرغم من ذلك فقد غمغم في توتر ، وكأنما أراد أن يستوثق من صحة ما فهمه :

ـــ ماذا تعني بأنه نفس الرجل ؟

ارتجف الطيار ، وهو يغمغم :

ـــ لقد كان ذلك (السوبرمان) يُدعى (أدهم) .. (أدهم صبري) .

وقف (بانشو) جامدًا لحظات ، ثم انعقد حاجباه في شدة ، واندفع نحو هاتفه الخاص ، كقذيفة مدفع ، والتقط سماعة الهاتف ، قائلًا في لهجة حازمة :

ـــ (بدرو) .. لديّ هنا بعض المعلومات عن شخص يهمني أمره ، وأريده قبل صباح الغد .. قتيلًا ..

* * *

٤ ـــ وبدأت المذبحة ..

تطلع صاحب مكتب استئجار السيارات إلى (أدهم) و (منى) طويلًا ، قبل أن يهز كتفيه ، مغمغمًا :

ـــ سيارة قوية ؟!.. ولماذا.. تريد سيارة قوية يا سيدي ؟.. ألن تكتفي بمشاهدة آثارنا ؟

لوح (أدهم) بكفه ، قائلًا في لهجة مواطني جنوب (تكساس) :

ـــ آه .. أتقصد تلك الكتل الحجرية ، والأهرامات المتهالكة .. لا يا صديقي .. إنني أبحث عن شيء فريد .

غمغم الرجل في حيرة :

ـــ أي شيء فريد هنا ، سوى الأهرامات والآثار ؟

مال (أدهم) نحوه ، وغمز بعينيه ، قائلًا :

ـــ المواطن المكسيكي نفسه يا صديقي .

عقد الرجل حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

ـــ وماذا عن المواطن المكسيكي أيها السيد ؟ إنه مواطن

عادى، وهو لا يفعل أى شىء يمكن أن يشبه حماقات الأمريكيّين، أو .....

قاطعه (أدهم) مبتسمًا :

ــ يبدو أنك قد أسأت فهمى يا سيّدى.. إننى لم أقصد الإساءة إلى المواطن المكسيكى، بأى حال من الأحوال، لقد كنت أقصد المواطن المكسيكى القديم.. (الأزتيك)(*).

تهلّلت أسارير الرجل، وهو يهتف :

ــ آه !! (الأزتيك)... أنت تهتم بالآثار إذن .

ثم عاد يعقد حاجبيه، مستطردًا فى حَيْرَة :

ــ ولكنك قلت منذ لحظات إنك لا .....

قاطعه (أدهم) بابتسامته الهادئة :

(*) الأزتيك: عشائر الهنود الحمر، التى استوطنت (المكسيك)، منذ القرن الثانى عشر، وأسست العاصمة (تينو شيتلان)، عام (١٣٢٥)، فى موقع (مكسيكو) الحالية، ولقد عرفوا النسيج والنحت، وصناعة الأدوات المعدنية، والهندسية، والموسيقى، والزراعة، ومن العجيب أن كتاباتهم كانت تشبه الهيروغليفية إلى حدٍّ بعيد، مما يُوحِى بوجود صلة ما بين حضارتهم، والحضارة المصرية القديمة، ولقد انهارت حضارتهم أمام الغزو الأسبانى، بقيادة (إيرنان كورتيز).

ــ إننى لم أقُلْ إننى أهتم بالآثار يا رجل .. إن اهتمامى الحقيقى هو علم (الأنثروبولوجيا)(*).

هزّ الرجل رأسه متفهّمًا، وقال :

ــ إننى أقدّر هذا يا سيّدى .

ارتسمت على شفتى (منى) ابتسامة غامضة، فاستطرد الرجل فى حماس :

ــ صدّقنى يا سيّدى .. إننى رجل مثقّف متفهّم .. إننى حتى أدير هذا المكتب بأسلوب حضارىّ للغاية .. إننى .....

قاطعه صوت دقّات منتظمة، فابتسم فى زَهْو، قائلًا :

ــ أتسمعان هذا؟. إنه صوت آلة (الفاكسميل)، التى تنقل لى صُوَر وثائق وأوراق كل السيارات، وأماكن تواجدها، عَبْرَ أسلاك الهاتف .

غمغم (أدهم) مبتسمًا :

ــ هذا عظيم .

(*) الأنثروبوجيا : علم دراسة الإنسان، وأصل الأنواع، والظواهر، وهو ينقسم إلى فرعين كبيرين، الأنثروبولوجيا الطبيعية، والثقافية، وتهتم الأولى بدراسة مشاكل التطور الإنسانى القديم، والأجناس البشرية، فى حين تركز الثانية اهتمامها على دراسة الثقافات البائدة، وربطها بتطور الثقافات الحالية .

تهللت أسارير الرجل ، وأسرع يجيب آلة (الفاكسميل) ، وتعلّق بصره بالرسالة التى نقلتها إليه الآلة ، وانعقد حاجباه فى اهتمام بالغ ، ثم رفع بصره نحو (أدهم) و (منى) ، ورسم على شفتيه ابتسامة تجارية ، وهو يقول :

ــ المتاعب لا تنتهى .. لقد فقدت سيارة أخرى فى (تميكو) .

ثم لوّح بذراعه ، هاتفًا فى توتّر ملحوظ :

ــ ولكن هذا لا يمنع من حسن معاملة الزبائن الممتازين .

واندفع على نحو عجيب إلى سيارة من طراز (نيفا) ، وهتف وهو يربت عليها فى حماس :

ــ هذه هى السيارة التى تحتاج إليها يا سيّدى .. قوية ، ومتينة ، و .....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ سنأخذها .

ابتسم الرجل فى ارتياح ، وقال :

ــ هذا يُسعدنى يا سيّدى .. فأنا أحتفظ بهذه السيارة خصيصًا لـ .....

صمت لحظة ، ثم أضاف فى ابتسامة واسعة :

ــ للزبائن المحترمين .

واندفع مرّة أخرى نحو أحد أدراج مكتبه ، والتقط منه سلسلة مفاتيح ، ناولها لـ (أدهم) ..

بل لو تحرّينا الدّقة ، فقد ألقاها فى يده ، أو قذفها قذفًا ، وهو يستطرد :

ــ وهى لكما .

التقط (أدهم) سلسلة المفاتيح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة بدوره ، وهو يقول :

ــ إنها توافق احتياجاتنا تمامًا .

ثم اتجه نحو السيارة ، وقفز خلف عجلة قيادتها ، وجلست (منى) إلى جواره ، فأدار محرّك السيارة ، والتفت إلى الرجل ، قائلًا فى هدوء :

ــ ألن نوقّع أيّة أوراق ؟

تلاشت ابتسامة الرجل ، وبدا وكأنه قد بوغت بالسؤال ، حتى أنه ارتبك مغمغمًا :

ــ فيما بعد يا سنيور .. فيما بعد .. إنك شخص موثوق به .

وعاد يبتسم ابتسامة مرتبكة ، مستطردًا :

ــ هكذا يُوحى مظهرك .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الغامضة ، وهو يقول :

ـــ شكرًا لثقتك يا سيدى .

وانطلق بالسيارة مغادرًا المكان فى هدوء ، ولم يكد يبتعد فى اتجاه الشمال ، حتى أطلق الرجل من أعماق صدره تنهيدة ارتياح ، وغمغم :

ـــ يا للشيطان !!.. كاد قلبى يتوقف .. خشيت لحظة أن يلمح صورته ، التى نقلها إلىّ جهاز (الفاكسميل) .

ثم اتجه إلى الهاتف ، ورفع سماعته ، قائلاً :

ـــ نعم يا سنيور (بانشو) .. أنا (برناردو) .. لقد تلقيت الرسالة ، وكان ذلك السائح الأمريكى هنا ، فى اللحظة ذاتها ، ومعه شقراء فاتنة .. نعم يا سنيور (بانشو) .. لقد أعطيته (الفيات) الحمراء ، التى نحتفظ بها لدىّ هنا .. بالطبع يا سنيور .. لقد قادها بنفسه ، واتجه شمالًا .. نعم يا سنيور .. أعلم .. أن السيارة تحوى قنبلة .. قنبلة زمنية ..

* * *

انعقد حاجبا (منى) فى قوة ، وهى تقول فى توتر :

ـــ ألا يبدو لك أمر هذا الرجل مريبًا يا (أدهم) ؟

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـــ مطلقًا .

التفتت إليه فى دهشة ، هاتفة :

ـــ ماذا ؟!.. ولكن أمره كان يبدو .....

قاطعها فى هدوء :

ـــ إننى واثق من أنه يدبّر لنا شيئًا ، ولست أستريب فحسب .

ثم انحرف بالسيارة إلى جانب الطريق ، وأوقفها دفعة واحدة ، وقفز خارجها ، مستطردًا :

ـــ بقى أن أجد ذلك الشىء .

رأته ينحنى أسفل السيارة ، فهتفت :

ـــ أى شىء هذا يا (أدهم) ؟

نهض مبتسمًا ، وهو يقول :

ـــ لقد وجدته .

هتفت فى انفعال :

ـــ ما هو ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ قنبلة .. قنبلة زمنية .



رآه ينحنى أسفل السيارة ، فهتفت :
— أى شىء هذا يا (أدهم) ؟

انتفض جسدها فى قوة ، واتسعت عيناها ، وشحب وجهها فى رُعب ، وهى تهتف :

— قنبلة زمنية ؟!.. هنا .. فى السيارة ؟!

تطلّع إلى ساعته ، قائلًا فى بساطة :

— نعم يا عزيزتى .. وستنفجر بعد تسع دقائق بالتحديد .

انتفض جسدها مرّة أخرى ، وهى تهتف :

— تسع دقائق .. يا إلهى !!..

قفز (أدهم) داخل السيارة ، وهو يقول ضاحكًا :

— يبدو أنهم هنا يتخذون أهبتهم دومًا ، لقتل أى شخص ، فى أى وقت ، وبأى أسلوب .

حدّقت فى وجهه فى ذُهول ، وهو ينطلق بالسيارة عائدًا إلى المدينة ، وهتفت فى رُعب واستنكار :

— ماذا تفعل يا (أدهم) ؟ .. إننا نجلس فوق قنبلة .

أجابها فى سُخرية :

— أعلم يا عزيزتى .. لقد رأيتها بنفسى ، ولكننى أميل إلى أسلوب هيئة البريد ، فما دمنا لن نذهب بالرسالة إلى حيث أراد صاحبها ، فالحل البديل هو أن نضع فوقها العلامة التقليدية ..

وأطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ يعاد إلى المُرسل ..

انعقد حاجباها فى توتُّر ، وتطلّعت إلى ساعة يدها هاتفة :

ـ لن يكفى ما لدينا من وقت يا (أدهم) .. إن القنبلة ستنفجر بعد سبع دقائق فحسب .

هتف فى جَذَل ضاعف من دهشتها :

ـ هذا يَعْنِى أنه علينا أن نسرع أكثر .

وضغط دوَّاسة الوقود بكل ما يملك من قوّة ..

* * *

كان (برناردو) ، صاحب مكتب استئجار السيارات ، يبتسم فى ارتياح ، وهو يلوّح بذراعيه ، أمام أحد رجال (بانشو) ، هاتفًا :

ـ صدّقنى يا سنيور .. إننى لم أكد أرى صورته ، التى نقلها إلىّ سنيور (بانشو) ، عبْر (الفاكسميلى) ، حتى منحته (الفيا) الحمراء على الفور .

أجابه الرجل فى برود :

ـ سنيور (بانشو) يقدِّر لك هذا ، وها هى ذى مكافأتك .

وألقى إليه رزمة من الأوراق المالية ، التقطها (برناردو) فى لهفة ، هاتفًا :

ـ إننى لم أفعل ذلك من أجل المال يا سنيور .. صدّقنى .. إننى .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفعت (الفيا) الحمراء داخل صالة عرض السيارات ، التى يملكها ، وقفز من داخلها (أدهم) و (منى) ، والأوّل يقول فى سُخرية :

ـ معذرة يا سيِّدى .. لقد أبدلنا رأينا .. لن نأخذ (الفيا) .. سنكتفى بهذه (الفولكس جولف) هناك .

حدّق (برناردو) ورجل (بانشو) فى (الفيا) الحمراء فى رُعب ، وهتف الأوّل :

ـ ولكن يا سنيور .. يا للشيطان !.. هذه (الفيا)...

قاطعه (أدهم) ، وهو يسرع مع (منى) إلى السيارة الأخرى :

ـ دع عنك القلق ، فسنبدل السيارة بنفسينا ؛ إذ أنه من الضرورىّ أن يحدث ذلك قبل دقيقة واحدة ، و .....

انتزع رجل (بانشو) مسدّسه من جيبه ، عند هذه النقطة ، وهو يصرخ :

ـ اللّعنة !.. ألم تفهم يا رجل ؟.. لقد أدرك اللّعبة .

وفى حركة بالغة السرعة ، أدار فوّهة مسدّسه نحو (أدهم) .. وأطلق النار ..

* * *

٥ ـ طريق الموت ..

سحب (بانشو سيلازر) نفسًا عميقًا من سيجاره الفاخر ، الذى بدا أكثر اكتظاظًا من وجهه ، قبل أن يسأل أحد رجال المراقبة ، التابعين لمنظمته :

ـ قل لى يا رجل : ما الذى فعله هذا المصرىّ بالضبط ؟

أجابه الرجل فى نبرات سريعة :

ـ لقد توقّف قبل مغادرته حدود (مكسيكو) بقليل ، وغادر السيارة ، وانحنى يفحص أسفلها ، ثم عاد يقفز داخلها ، ويستدير عائدًا إلى البلدة ، وقد زاد من سرعته كثيرًا .

عقد (بانشو) حاجبيه ، وهو يقول فى حنق :

ـ اللّعنة !!.. من الواضح أن هذا المصرىّ داهية ، ومحترف حتى أخمص قدميه.. اللّعنة !.

وسحب نفسًا قويًّا من سيجاره مرّة أخرى ، ثم نفثه فى توتّر ملحوظ ، قبل أن يستطرد فى عصبيّة :

ـ ولكنه سيعود .

ثم استدار بجسده كله دفعة واحدة ، واندفع كعادته نحو خريطة ضخمة لـ (المكسيك) ، وأشار إلى الطريق الذى يربط بين (مكسيكو) و (ساليتلو) ، قائلًا :

ـ إنه سيعبُر هذا الطريق حتمًا ، فهو يعرف ، بوسيلة أو بأخرى ، أن الصفقة ستتم هنا .

وعضّ شفته السفلى الغليظة ، متمتمًا فى سُخط :

ـ ثعالب هم هؤلاء المصريون .

ثم عاد يستطرد فى عصبيّة :

ـ وهو لا يعلم حتمًا أننا نملك هذا الطريق ، ونُحكم سيطرتنا عليه ، ولقد عاد ليؤدّب الغبىّ (برناردو) فحسب ، ولكنه لن يلبث أن يواصل طريقه إلى (ساليتلو) ، ولكنه لن يصل إليها أبدًا .

وانعقد حاجباه فى شِدّة ، وهو يردف فى غضب :

ـ سنجعل من هذا الطريق مقبرة ..

وارتفع صوته ، واحتقن وجهه الأسمر ، حتى بات أقرب إلى السواد ، وهو يضرب الخريطة بقبضته ، هاتفًا فى ثورة :

ـ مقبرته ..

* * *

لا يمكننا أن ننكر أن رجل (بانشو) يجيد إطلاق النار بحق ، فهو يمارس ذلك منذ طفولته ، منذ علّمه والده حمل السلاح ، قبل أن يتعلّم كيف يمسك بالقلم ليكتب ، أو بالملعقة ليأكل ..

ثم إنه محترف ..

محترف بحق ..

وطوال الحياة التي عاشها (سيلفيو) ــ وهذا اسمه ــ لم يحدث أن أخطأ إصابة هدفه أبدًا ..

إلا في هذه المرّة ..

ليس لأنه لم يُحسن التصويب ..

ولكن لأن الهدف نفسه لم يَبْقَ في موضعه ..

لقد تحرّك (أدهم) في سرعة خرافية ، فدفع (منى) جانبًا ، وقفز هو إلى الجانب الآخر ، ثم إلى الأمام ، ودار جسده حول نفسه دورة رأسية ، قبل أن يهبط على قدميه ، أمام (سيلفيو) تمامًا ، هاتفًا :

معذرة أيها الوغد .

تراجع (سيلفيو) في ذهول ، وانفرجت شفتاه لينطق بعبارة ما ، إلا أنهما عادتا تنطبقان في عنف ، وتسحقان فوق

أسنانه ، عندما هَوَت عليهما قبضة (أدهم) ، في لكمة كالقنبلة ، وهو يستطرد :

ــ ليس لديّ ما يكفي من الوقت ، لإتمام تعارفنا على نحو مناسب .

وصرخ (برناردو) في رُعْب :

ــ (النيڤا) .. إنها ستنفجر .

وانطلق يعدو خارج مكتبه ، في حين قفزت (منى) داخل (الفولكس جولف) ، وهي تهتف :

ــ أسرع يا (أدهم) .

خُيّل إليها أنه قد طار إليها ، بحيث لم تشعر إلا وهو يستقر على المقعد المجاور لها ، ويدير المحرّك ، هاتفًا في لهجة خالتها مرحة :

ــ فلننطلق .

وانطلقت بهما (الفولكس) كالصاروخ ..

ومن خلفهما دوّى الانفجار ..

انفجرت (النيڤا) ، وسط رتل السيارات الأخرى ، واشتعلت النيران في المكان ، واحتمى (سيلفيو) من الانفجار بسيارة ضخمة ، لم تلبث أن اشتعلت بها النيران بدورها ، فانطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يهتف في سُخط هائل :

— ستدفع الثمن أيها الأجنبىّ .. ستدفع ثمن إهانتك لـ (سيلفيو) .

أما (برناردو) ، فراح يلطم خدّيه ، ويصرخ فى انهيار :

— تجارتى .. مكتبى .. سياراتى .. كل شىء انفجر .. كل شىء ضاع .

صاح به (سيلفيو) فى حنق :

— اهدأ يا رجل .. سيعوّضك سنيور (بانشو) عن كل هذا حتمًا .

تشبّث به (برناردو) ، هاتفًا :

— أحقًّا يا سنيور (سيلفيو)؟!.. أحقًّا؟!

دفعه (سيلفيو) بعيدًا عنه فى ازدراء ، وهو يقول :

— حتمًا يا رجل .. أنت تعرف كرم سنيور (بانشو) .. ولكن قُل لى : ألديك سيارة أخرى قويّة ؟

هتف (برناردو) فى أسَى ، وهو يشير إلى النيران ، التى تلتهم سياراته :

— مطلقًا يا سنيور (سيلفيو) .. كل شىء ضاع .. ضاع ..

أطلق (سيلفيو) سبابًا ساخطًا ، واندفع بعيدًا عن المكان ، مع اقتراب صوت سيارات الإطفاء ، وهو يهتف فى غضب :

— ستوجد سيارة أخرى حتمًا ، فلن أسمح لذلك الأجنبى بالفرار هكذا .. سألحق به .. وسأنتقم .. سأنتقم انتقامًا رهيبًا ..

* * *

أطلق (أدهم) ضحكة عالية مجلجلة ، وهو ينطلق بالسيارة ، فى الطريق إلى (ساليتلو) ، وبدا شديد المرح والجذل ، حتى أن (منى) هتفت فى دهشة :

— ماذا أصابك هذه المرّة ؟!.. إنك تبدو أشبه بطفل يلهو .

هتف ضاحكًا :

— ربما هى عقدة العودة إلى الطفولة .

ابتسمت فى حَيرة ، وهى تقول :

— أخبرنى حقًّا ماذا بك ؟

أجابها مبتسمًا :

— لست أدرى .. ربما أن كل شىء هنا يذكرنى بمغامراتنا الأولى معًا ، أو أننى أحتاج بالفعل إلى بعض اللهو .

غمغمت فى دهشة :

— أيبدو لك هذا لهوًا ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا فى بساطة :

ـــ وماذا حدث حتى الآن ؟.. لقد نسفنا مكتبًا لاستئجار السيارات فحسب ؟

هتفت :

ـــ أيبدو لك هذا عملًا عاديًا ؟

ابتسم قائلًا :

ـــ إنه كذلك فى عالمنا يا عزيزتى .

تنهّدت ، وقالت :

ـــ ولكنك تكشف لـ (بانشو) هذا عن نوايانا ، بمواجهته على هذا النحو السافر .

عاد إلى جدّيته ، وهو يقول فى حسم :

ـــ ومن قال إنه لم يفعل ؟.. لقد كشف هذا الإرهابىّ الوغد حقيقتنا ، على نحو أو آخر ، بدليل أنه قد دفع صاحب المكتب إلى إعطائنا تلك السيارة الملغومة ، التى من الواضح أنه يحتفظ بها لديه سلفًا .

هتفت مشدوهة :

ـــ ولكن كيف علم أننا سنستأجر سيارة ؟

أجابها فى حزم :

ـــ هذا هو الإجراء الطبيعى ، الذى يلجأ إليه أى شخص ، يرغب فى الانتقال إلى (سالتيلو) فى حرّية ، دون التقيد بوسائل المواصلات العامة ، ويبدو أن رسالة (الفاكسميل) ، التى تسلّمها صاحب المكتب ، كانت تخصّنا .

غمغمت فى توتر :

ـــ يبدو أن هذا الـ (بانشو) يجيد التحرُّك فى سرعة .

أجابها مُكْمِلًا :

ـــ وأن لديه الوسائل المناسبة لذلك .

التفتت إليه ، تسأله فى توتر :

ـــ أيعنى هذا أن المهمّة قد فشلت ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال فى إصرار :

ـــ ليس بعد .. الكشف عن حقيقة نوايانا لا يعنى الفشل ، فمهمّتنا تقتضى التفاوض مع (بانشو) أوّلًا ، حول الحصول على الصفقة .

سألته فى توتر :

ـــ لماذا لا تعلن عن ذلك صراحة له ، ما دام قد كشف أمرنا ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ لأن هذا الوغد يتعامل منذ سنوات مع (الموساد) ، وهو لن يتعامل معنا نحن هذه المرّة ، إلا تحت شرط واحد .



كانت هناك ثلاث سيارات تندفع نحوه ، وعلى متنها خمسة عشر رجلًا ، يحمل كل منهم مِدفعًا آليًا ..

سألته فى شغف :

ــ ما هو ؟

أجابها حازمًا :

ــ أن يقتنع بأننا الأقوى .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى قوة :

ــ وهذا ما سنثبته له بإذن الله .

تطلّعت إلى مرآة السيارة فى توتّر ، وغمغمت فى صوت مرتجف ، حمل الكثير من انفعالها :

ــ المهم أن نجد الفرصة لذلك .

أدار عينيه إلى مرآة السيارة بدوْرِه ، وأدرك ما الذى تعنيه هى على الفور ..

فخلفه تمامًا ، وعلى مسافة لا تتجاوز الكيلومتر الواحد ، كانت هناك ثلاث سيارات تندفع نحوه ، وعلى متنها خمسة عشر رجلًا ، يحمل كل منهم مِدفعًا آليًا ..

ولم يكن (أدهم صبرى) يحتاج إلى الكثير من الذكاء ، ليدرك هدف هذه الشرْذِمة من القتلة المحترفين ..

لقد كان هو الهدف ..

* * *

٦ ــ الجولة الأولى ..

ارتسمت ابتسامة واثقة منتشية ، على شفتى (بانشو) الغليظتين ، وهو يشير إلى الخريطة الضخمة للمكسيك ، قائلاً فى زهو :

ــ لقد تلقينا رسالة لاسلكيّة من رجالى الآن يا سنيور (ألفريدو) .. لقد عثروا على ذلك المصرىّ هنا .

ووضع إصبعه عند نقطة تبعد ثلاثين كيلومترًا من (مكسيكو) مستطردًا فى ثقة وخُيلاء :

ــ وهنا ستنتهى حياة ذلك المصرى (السوبرمان) ، كما تسميه يا سنيور (ألفريدو) ..

هزَّ الطيار الأمريكى رأسه ، ومطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

ــ عندنا مثل أمريكى شهير يا سنيور (بانشو) ، يقول : « لا تبع فراء الدُّب قبل صيده » .

عقد (بانشو) حاجبيه ، وهو يقول فى جِدّة :

ــ ماذا تعنى يا سنيور (ألفريدو) ؟..

أجابه (ألفريدو) فى توتُّر :

ــ أعنى أنك تتحدّث كأنما قد ربحت المباراة يا سنيور (بانشو) ، على الرغم من أن الاشتباك بين رجالك وهذا الشيطان لم يبدأ بعد .

لوّح (بانشو) بكفّه ، هاتفًا :

ــ أى هُراء هذا يا سنيور (ألفريدو) .. إنهم خمسة عشر محترفًا ، يواجهون رجلاً واحدًا وامرأة .. لمن يكون النصر فى هذه الحالة ؟

أجابه (ألفريدو) فى سرعة :

ــ للخمسة عشر محترفًا .

وقبل أن تتهلّل أسارير (بانشو) ، كان الطيار يستدرك :

ــ لو لم يكن هذا الرجل هو (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا (بانشو) فى شدّة ، وهو يقول فى غضب :

ــ الشيطان نفسه لا يمكنه أن يفلت من رجالى يا سنيور (ألفريدو) .

هزَّ الطيار كتفيه ، مغمغمًا :

ــ مَنْ يدرى ؟

حدّق (بانشو) فى وجهه بسُخط ، ثم هتف فى عِناد :

ــ ما رأيك فى رهان صغير إذن ؟

رفع إليه الطيار عينيه متسائلاً ، فاستطرد فى حزم :

ـ سأمنحك عشرة آلاف دولار ، لو أن شيطانك هذا أصاب واحدًا من رجالى .

تألقت عينا الطيار ، وقال :

ـ أتعنى أنك تراهن بعشرة آلاف دولار ، على أن رجالك سيتخلصون من (أدهم صبرى) هذا ، دون أن تفقد واحدًا منهم ؟

أجابه (بانشو) فى حزم :

ـ نعم .. وسأرفع الرهان إلى عشرين ألفًا لو أردت .

عقد الطيار حاجبيه مفكرًا ، ثم صبَّ كأسين من (التكيلا) ، ناول إحداهما لـ (بانشو) ، قائلاً فى حماس :

ـ أوافق يا (بانشو) ، ولكننى واثق من أنك ستخسر الرهان تمامًا .

هتف (بانشو) فى حزم :

ـ مُحال يا سنيور (ألفريدو) .. إن (بانشو) لم يخسر معركة واحدة من قبل .. أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتطلع إلى السيارات

الثلاث ، فى مرآة سيارته ، وقال لـ (منى) فى هدوء شديد ، كعادته كلما ألمّ بهما خطر داهم :

ـ يبدو أن ذلك الوغد لا يضيع وقته بالفعل .

سألته وهى تخرج مسدسها الصغير من حقيبتها :

ـ ماذا سنفعل الآن ؟.. إننا لا نملك سوى مسدسينا .

أجابها ساخرًا :

ـ وإرادتينا .

ابتسمت بدورها ، وقالت :

ـ حسنًا .. ما الذى يمكن أن تفعله أسلحتنا هذه ، فى مواجهة هذا الجيش الصغير ..

هزَّ كتفيه فى هدوء ، وهو يقول فى بساطة ، وكأنما الأمر لا يعنيه :

ـ أظن أن مسدسينا لن يكفيا لمواجهة خمسة عشر مدفعًا آليًا يا عزيزتى ، وأن إرادتنا لن تسهم معنا بإطلاق النار .. الحل الوحيد إذن هو ......

وضغط دوّاسة الوقود بكل قواه ، مستطردًا فى حزم :

ـ الفرار ..

زادت سرعة سيارته بغتة ، فانطلقت تنهب الطريق فى سرعة مخيفة ، و (منى) تهتف :

ـــ الفرار ؟!.. مستحيل !!.. إنك لم تلجأ إلى هذا أبدًا من قبل .

ابتسم ، وهو يراقب السيارات الثلاث ، التي زادت من سرعتها بدوْرها ، وقال :

ـــ إنني لم أكن أقصد الفرار فعْلًا يا عزيزتي ، وإنما كنت أفكّر بأسلوبهم .

سألته في دهشة :

ـــ ماذا تعْني ؟

أجابها في لهجة أقرب إلى الجَدَل :

ـــ أعْني أنهم ما داموا يفكرون في كل شيء ، فهم يتبعون منطقية الأحداث دوْمًا ، وما داموا قد كشفوا أمرنا منذ البداية ، فهذا يَعْني أنهم قد حصلوا على كل المعلومات عنّا من المطار ، وأنهم يعلمون أننا لم نكن نحمل سوى حقيبتين صغيرتين ، وأن أجهزة كشف الأسلحة لم توقفنا ، مما يَعْني أننا لا نحمل سوى مسدّسين من البلاستيك القوىّ ، وهـذا لا يمنحنا نقطة تفوّق في رأيهم .

تمتمت في حَيْرة :

ـــ وأظنني أشاركهم هذا الرأى .

أطلق ضحكة زادت من دهشتها ، قبل أن يقول :

ـــ رائع .. إذن فهم سيطاردوننا على الفور ، عندما نزيد من سرعة سيارتنا ، من منطلق أننا نعمد إلى الفرار .

هتفت وقد بلغت حَيْرتها ذِرْوتها :

ـــ أهناك معنًى آخر ؟

أجابها في حماس :

ـــ بالتأكيد .

ثم أضاف ، وهو يخفض سرعة السيّارة ، ويلوّح بيده خارجها :

ـــ أن نستسلم .

اتسعت عيناها في ذُهُول ، وهي تتطلّع في هَلَع إلى السيارات الثلاث ، التي أدرك ركابها أن (أدهم) يعلن استسلامه ، فراحُوا يقتربون من سيارته في سرعة وحَذَر ، ومدافعهم الآلية مشهُورة ، في حين التقط هو حقيبته الصغيرة ، وأخرج منها علبة من علب كريم الحلاقة ، وهو يبتسم ، ويسأل (منى) في هدوء ، متحسّسًا ذقنه :

ـــ ما رأيك يا عزيزتي ؟.. ذقني تحتاج إلى حلاقة .. أليس كذلك ؟

ولم تجب (منى) ..
لقد بدا لها الموقف كله أشبه بلمحة جنون ..
جنون مطلق ..

* * *

أطلق (بانشو) ضحكة ظافرة ، وهو يهتف فى حرارة :
ـ لقد خسرت رهانك يا سنيور (ألفريدو) .. لقد استسلم شيطانك المصرى لرجالى ، دون أن يصاب واحد منهم .
انتفض جسد (ألفريدو) ، وهو يهتف فى ذهول :
ـ استسلم ؟!
ثم انعقد حاجباه فى قوة ، وهو يستطرد :
ـ ولكن هذا مستحيل !!..
أطلق (بانشو) ضحكة أخرى ظافرة ، وهو يربت على ظهر الطيار ، هاتفًا :
ـ لا يوجد مستحيل مع (بانشو سيلازر) يا رجل .
هز (ألفريدو) رأسه ، مغمغمًا :
ـ ولكن !!.. عجبًا !!
ثم رفع عينيه إلى (بانشو) ، يسأله فى اهتمام بالغ :
ـ هل ألقوا القبض عليه بالفعل ؟

لوح (بانشو) بكفه ، قائلاً فى ثقة :
ـ ليس بعد ، ولكنها مسألة دقائق .. لقد لوح بيده معلنًا استسلامه ، و .....
تألقت عينا الطيار ، وهو يهتف :
ـ لوح بيده ؟!
ثم انفجر يقهقه ضاحكًا ، كما لو أن حملاً هائلاً قد انزاح عن كاهليه ، وهتف بملء فيه :
ـ هذا يعنى أنك لم تربح رهانك بعد يا سنيور (بانشو) .. لم تربحه أبدًا .
انعقد حاجبا (بانشو) ، وهو يهتف :
ـ أى هراء هذا يا سنيور (ألفريدو) .. إن هذا المصرى يقبع الآن داخل سيارته الصغيرة ، وخمسة عشر رجلاً يحيطون به من كل جانب ، و .....
قاطعه (ألفريدو) ، وهو يلوح بكفه :
ـ ولكن المعركة لم تنته بعد يا سنيور (بانشو) .. لم تنته بعد ..
وعاد يطلق ضحكة ارتياح ، كما لو أنها معركته هو ..

* * *

انعقد لسان (منى) تمامًا ، وهى تحدق فى وجه (أدهم) ، الذى بدا هادئًا ، لامباليًا ، وهو يغادر السيارة ، وقد أحاطت به سيارات رجال (بانشو) ، وبدا لها صوته أقرب إلى السُّخرية ، على الرغم من دقَّة الموقف ، وهو يقول بالأسبانية التى يتحدث بها سكَّان المكسيك :

ـ مرحبًا يا رجال .. أنتم تعملون لحساب (بانشو سيلازر) .. أليس كذلك ؟

غادر أربعة رجال السيارات ، واتجهوا إليه ، وصوَّب أحدهم مدفعه الآلىّ إلى (منى) ، فى حين صوَّب الثلاثة الآخرون أسلحتهم إلى (أدهم) ، وقال أكثرهم ضخامة فى خشونة :

ـ بل .. نحن نعمل لحساب سنيور (بانشو) ، الذى أمرنا بالتخلُّص منك .

لوَّح (أدهم) بكفه ، قائلًا فى هدوء :

ـ يا لسنيور (بانشو) !.. كيف يتعجَّل الأمور على هذا النحو .. إننى أحمل له صفقة .

تبادل الرجال نظرات الشك ، وقال أحدهم فى غلظة :

ـ أية صفقة ؟

أجابه (أدهم) فى حماس مفتعل :

ـ إنه اختراع كيميائىّ حديث ، ابتكره السوفيت ، ولقد نجحت أنا فى الحصول عليه ، وأخبرنى البعض أن سنيور (بانشو) يدفع فى سخاء ، مقابل أى سلاح حربىّ جديد .

تردَّد الرجال إزاء ذلك التصريح ، وغمغم أحدهم :

ـ أظن أنه من الأفضل إبلاغ سنيور (بانشو) بهذا .

أجابه آخر :

ـ ربما سخر منَّا .

ثم التفت إلى (أدهم) مستطردًا فى خشونة :

ـ وأين هذا السلاح الكيميائى الجديد ؟

التقط (أدهم) علبة كريم الحلاقة ، وقال وهو يلوِّح بها فى وجوههم :

ـ ها هو ذا ؟

عقدوا حواجبهم فى شك ، وهتف أحدهم محنقًا :

ـ ويحك يا رجل .. أتسخر منَّا ؟.. إنه مجرَّد كريم حلاقة أمريكى الصنع .

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، قائلًا :

ـ هذا ما يبدو من مظهره ، وهذا ما قصد السوفيت أن يبدو به ، ولكن الحقيقة غير هذا .

ثم مال نحو أحد الرجال ، وأضاف فى لهجة توحى بخطورة الأمر .

— هذا الكريم البرىء المظهر كفيل بإفناء الولايات المتحدة الأمريكية كلها .

تراجع الرجال فى رَهْبة ، إزاء هذا التصريح الرهيب ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يهتف أحدهم فى حِدَّة :

— لست أصدِّق حرفًا واحدًا من هذا .. إنه يسخر منَّا .

ثم جذب إبرة مدفعه ، مستطردًا فى عصبيَّة :

— وسأقتله .

هتف (أدهم) :

— رُوَيْدك يا رجل .. إننى الوحيد الذى يعرف سرَّ الكريم ، وقد يقتلك (بانشو) غيظًا ، لو أنك أطلقت علىَّ النار ، قبل أن أخبره بما لدىَّ .

هتف الرجل :

— أراهن أنك كاذب .

ولكز آخر (أدهم) بفُوَّهة مِدفعه ، قائلًا فى صرامة :

— فكِّر فيما قلت مرَّة أخرى يا رجل ، فأنت بين أيدينا الآن ، ولو أنك تكذب — وسنكشف هذا فى بساطة — فلن ينقذك شىء من أن نمزِّقك إربًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— يا للخسارة !!.. لقد أوْحَى لى زيّكم الموحّد هذا بأنكم جيش نظامىّ حسن التدريب ، ولكن يبدو أننى كنت مخدوعًا .

هتف أحدهم فى سُخط :

— ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة :

— أعنى أنكم تفتقرون إلى حسن الأداء ، فلقد أحطتم بسيارتى ، وأجبرتمونى على التسليم ، دون أن يتصوَّر أحدكم أن خطتكم تحوى ثغرة ضخمة ، تكفى لعبور قطيع من الأفيال ، دون أن يشعر به أحدكم .

قال أحدهم فى قلق :

— ما هى يا رجل ؟.. قُلْ أو أطيح برأسك .

ابتسم (أدهم) فى برود ، وهو يقول :

— ها هى ذى .

ثم ألقى علبة الكريم التى يحملها نحو أبعد السيارات الثلاث عنه .. وانفجرت العلبة مع السيارة فى قوَّة ..

ومع دوىّ الانفجار ، شهر ركاب السيارتين الأخريين مدافعهم الآلية ، وانطلقت مئات الرصاصات نحو (أدهم) و (منى) .. وسالت الدماء ..

* * *

٧ ــ الشيطان ..

لم تكد العلبة تنفجر ، وتنسف السيارة ، بركابها الأربعة ، حتى شهرَ ركَّاب السيارتين الأخريين مدافعهم الرشاشة ، وأطلقوا النار ..

ولكن رصاصاتهم الأولى لم تقتل (أدهم) ..

ولا (منى) ..

لقد أصابت زملاءهم الأربعة ..

وكان هذا هو الخطأ ..

وكانت هذه هي الثغرة ، التي يقصدها (أدهم)

لقد أحاط الرجال الأربعة بـ (أدهم) و (منى) إحاطة كاملة ، حتى أنهم قد صنعوا بأجسادهم ــ ودون إدراك منهم ــ حائلاً بين هذين وبين رصاصات زملائهم ..

وهكذا ربح (أدهم) نصف المعركة ، وتخلَّص من أكثر من نصف خصومه مع الضربة الأولى ..

وقبل أن يتلاشى أثر المفاجأة ، كان (أدهم) قد التقط

مدفعين آليين ، وكانت (منى) قد انتزعت مسدسها البلاستيكي ..

وعادت الرصاصات تنهمر من جديد ..

وفي هذه المرَّة كانت تنطلق من أسلحة (أدهم) و (منى) ..

وعندما استسلم رجال (بانشو) كان عددهم ثلاثة فحسب ..

ثلاثة بقوا على قيد الحياة ، قبل أن ينقشع دُخان المعركة ..

ولقد كان الثلاثة مصابين بذهول عارم ، وإحباط ليس له مثيل ، وهم يرفعون أيديهم مستسلمين ، أمام (أدهم) و (منى) ، وصوت (بانشو) يهدر عبْر جهاز اللاسلكي :

ــ ماذا حدث يا رجال ؟.. أجيبوا .. ماذا حدث ؟.. لقد سمعت صوت انفجار ، ودويّ رصاصات ، فماذا حدث ؟.. هل قتلتم ذلك المصريّ ؟

اتجه (أدهم) نحو السيارة ، والتقط بُوق الجهاز ، وضغط زرّ الاتصال ، وقال بلهجته الساخرة :

ــ ليس بعد أيها الوغد .. لقد تقابلت مع رجالك الظرفاء ، ودار بيننا حديث وُدّيّ طريف ، لم يحتمله اثنا عشر وغدًا منهم ، فرحلوا عن عالمنا ، وبقيَ ثلاثة فقط .

ثم ألقى نظرة صارمة على الثلاثة ، قبل أن يتابع :
ـ لم أقرر بعد ، ما إذا كنت سأتركهم على قيد الحياة أم لا .
ارتجف الرجال الثلاثة ، وتبادلوا نظرات الرُّعب فيما بينهم ، فى حين ارتفع صوت (بانشو) الغاضب عبْرَ اللاسلكى ، وهو يصرخ :
ـ سأقتلك أيها المصرى .. لن تجد مكانًا واحدًا فى الأرض ، يمكنك أن تذهب إليه .. هل تسمعنى ؟.. سأقتلك .. سأقتلك .
جاوبه (أدهم) بضحكة ساخرة ، تردَّد صداها فى أرجاء الصحراء الجبلية ، فراح (بانشو) يصرخ فى جُنُون :
ـ سأقتلك .. سأقتلك ..
وأنهى (أدهم) الاتصال ، ثم التفت إلى الرجال الثلاثة الباقين ، وجذب إبرة مدفعه الرشاش ، وهو يصوِّب فُوَّهته إلى صدورهم ، قائلًا فى برود :
ـ والآن فليخمِّن أحدكم ، ما الذى سأفعله بكم ؟!..

* * *

احتقن وجه (بانشو) فى شِدَّة ، وتقافز الغضب من كل خليَّة من خلايا وجهه ، وهو يضرب سطح الخريطة بقبضته ، صائحًا :



وعندما استسلم رجال (بانشو) كان عددهم ثلاثة فحسب ..

— سأقتله .. سأقتله ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

أطلق الطيار الأمريكى ضحكة ساخرة ، وهو يمد يده إليه ، قائلاً :

— لا تنسَ ، قبل أن تفعل ، أنك مدين لى بعشرين ألفًا من الدولارات .

التفت إليه (بانشو) فى حنق ، وانتزع مسدسه من غمده ، وصوّب فوهته إلى رأس الطيّار ، وهو يهتف هادرًا :

— سأقتلك أنت أيضًا ، لو واصلت مزاحك على هذا النحو .

تلاشت ابتسامة الطيار ، وشحب وجهه ، وهو يقول فى توتر :

— إننى لم أقصد شيئًا يا سنيور (بانشو) .. لو أنك ترفض دفع قيمة الرهان ، فلست أصرُّ على .....

قاطعه (بانشو) صارخًا :

— فليذهب الرهان إلى الجحيم .

ثم أشار إلى صدره ، هاتفًا :

— إنها كرامتى .. اسمى .. قوتى .

ولوّح بذراعيه صارخًا :

— لقد حطّم هذا المصرىّ كل ذلك بضربة واحدة .

غمغم الطيّار :

— لقد حذّرتك يا سنيور (بانشو) .

عاد (بانشو) يضرب الخريطة بقبضته ، هاتفًا :

— تحذيرك لا يغنى شيئًا ..

هتف الطيّار معترضًا :

— لقد أخبرتك أن هذا المصرى (سوبرمان) ، وأنه .....

قاطعه (بانشو) ، صارخًا :

— لا يوجد (سوبرمان) فى العالم كله .. الـ (سوبرمان) الوحيد فى هذا العالم ، هو ذلك الذى نراه فى القصص المصوّرة .

تردّد الطيار لحظة ، ثم غمغم وكأنه لم يستطع كبح جماح نفسه :

— هذا لأنك لم ترَ الحقيقى .

صرخ (بانشو) فى وجهه :

— اخرس .

ثم اتجه نحو هاتفه ، مستطردًا فى ثورة :

ــ سأشعلها حربًا على ذلك المصرىّ .. سأجنّد كل رجل من رجالى فى المنطقة كلها .

وانتزع سمّاعة الهاتف فى عنف ، مردفًا .

ــ أقسم لك إنه لو استحال فأرًا ، ما وجد جُحرًا يختبئ فيه ، فى صحراء المكسيك كلها .. خذها كلمة من (بانشو) .

* * *

جفّت دماء رجال (بانشو) الثلاثة ، من شدّة الرُّعب ، وهم يحدّقون فى فُوّهة مدفع (أدهم) الآلىّ ، المصوَّب إليهم ، وغمغم أحدهم فى هلع :

ــ الرحمة يا سنيور !! إننا لا نحمل أيّة ضغائنٍ شخصية تجاهك .. لقد كنّا ننفّذ أوامر زعيمنا .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وسبّابته تتراقص على زناد المدفع الآلىّ :

ــ حقًا !! إننى أفكّر فى الواقع فى إرسالكم هدية إلى زعيمكم هذا .

شحبت وجوه الرجال الثلاثة فى شدّة ، قبل أن يستطرد هو ، فى لهجة ذات مغزى :

ــ لولا أننى أجهل مقرّه ، مما يضطرنى لقتـ .....

قاطعه أحدهم فى انفعال :

ــ لا يا سيّدى .. أرجوك .....

بتر عبارته بغتة ، وتردّد وهو يدير عينيه فى وجهى رفيقيه فى خوف ، فعقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. لا بديل إذن سِوَى .....

هتف رجل آخر :

ــ لا داعِىَ يا سنيور ..

ثم زفر فى مرارة ، واستطرد فى انهيار :

ــ سأخبرك بكل ما ترغب فى معرفته .

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ وحدك .

قالها وعيناه تحدّقان فى وجوههم على نحو مخيف ، جعل الثالث يهتف :

ــ بل كلنا يا سنيور .. كلنا سنخبرك ..

تبادل (أدهم) مع (منى) نظرة ظافرة ، وقال :

ــ حسنًا .. إننى أرغب فى معرفة كل ما لديكم عن زعيمكم .. وبالتفاصيل المملّة .. هيّا .. كلّى آذان صاغية ..

بدا لحظة وكأن أحد الرجال سيدلى بكل ما لديه ، لولا أن هتفت (منى) بغتة :

— (أدهم) .. هناك زائرون .

استدار (أدهم) إلى حيث تشير ، ورأى سيارة تقترب من بعيد ، فعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

— عجبًا !!.. هذا الوغد يتحرّك بالفعل بسرعة رهيبة ، و .....

قبل أن يتم عبارته ، هتف أحد الرجال الثلاثة :

— الآن يا رجال .

وبانتفاضة رجل واحد ، اندفع الرجال الثلاثة نحو (أدهم) ، وأمسك أحدهم مدفعه الآلىّ فى قوّة ، وهوى الآخران على فكيه بلكمتين ساحقتين ..

ثم شعر الثلاثة بندم هائل ..

لقد حاول أوّلهما أن ينتزع من (أدهم) مِدْفعه الآلىّ ، ولكن المدفع قفز فى وجهه ، وحطّم فكّه وأنفه فى عنف ، فى نفس اللحظة التى بلغت فيها قبضتا الرجلين فك (أدهم) ..

ولكن رأس (أدهم) كلها تحرّكت جانبًا ، فى سرعة مذهلة ، ثم غاص جسده كله إلى أسفل ، وارتفعت قبضتاه كقنبلتين ، تفجّرتا فى فكّى الرجلين ..

وبعد مُضِىّ ثانية واحدة ، على انتفاضة الرجال الثلاثة ، كانوا يتوسّدون أرض الطريق ، وقد غاب الوَعْىُ عنهم تمامًا ، و (أدهم) يقول فى حَنَق :

— اللّعنة !.. لقد فقدنا فرصة الحصول على المعلومات .

هتفت (منى) :

— دعك من هذا .. المهم أن نبتعد عن هنا أوّلًا .

ثم أشارت إلى تلك السيارة القادمة ، مستطردة :

— إننا نواجه جيشًا جرّارًا .

التفت (أدهم) إلى حيث تشير ، وأدرك من النظرة الأولى أنها على حقّ ..

لقد كانت السيارة طليعة لفرقة من أربع قطع .. أربع دبّابات ..

* * *



٨ ـ الحرب ..

« أربع دبابات ؟!!.. » ..

هتف (ألفريدو) بهذه العبارة فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه (بانشو) ، الذى لوّح بكفّه ، هاتفًا فى عصبيّة :

ـ نعم .. لقد قلت إننى سأشنها عليه حربًا شعواء .. وسأفعل .

وأشعل سيجاره بأصابع مرتجفة من شدة الانفعال ، قبل أن يتابع بنفس العصبيّة:

ـ لقد ابتعت رتلاً من الدبابات المستعملة ، من الجيش الأمريكى ونجحت فى تهريب بضعة أطنان من الذخيرة إلى هنا ، مما يمنحنى السيطرة الكاملة على الصحراء المكسيكية .

هتف الطيّار :

ـ وأين رجال الشرطة ، والجمارك ، و ..... ؟

قاطعه فى توتّر :

ـ ابتعادهم عن الساحة يكلفنى مائتى ألف دولار شهريًا ، وهذا مبلغ رهيب .

اتسعت عينا الطيّار فى دهشة ، وهو يهتف مبهورًا :

ـ يا إلهى !!.. هذا يعنى أنك تربح الكثير يا سنيور (بانشو) !

نفث (بانشو) دخان سيجاره ، ولوّح بيده فى عصبيّة ، وهو يقول :

ـ وأنفق أكثر يا سنيور (ألفريدو) .. بالإضافة إلى ذلك الكمّ الهائل من الأعمال ، التى ينبغى أن أشرف عليها يوميًا ، من عمليات تهريب وترويج مخدّرات ، إلى سرقة وبيع الأسرار الحربية ، مرورًا بنوادى المقامرة ، وتلك الصور اللعينة ، و .....

قاطعه الطيّار مبهورًا :

ـ أتفعل كل هذا ؟

لوّح بكفّه ، مغمغمًا فى توتّر :

ـ وأكثر يا سنيور (ألفريدو) .. وأكثر ..

ثم عاد يلتفت إلى الخريطة الضخمة ، مستطردًا فى حدّة :

ـ ولكن هذا كله لم يعد يساوى شيئًا ، طالما هذا الشيطان حىّ .

تردّد الطيّار الأمريكى لحظات ، قبل أن يقول :

— مَنْ يَدْرِى يا سنيور (بانشو) ؟. قد تنتهى حربك قريبًا جدًا .. إنها أربع دبابات ، مقابل رجل وامرأة .. مَنْ يَدْرِى ؟

* * *

انطلق (أدهم) بـ (الفولكس) بأقصى سرعة يسمح بها محرّكها ، وهو يراقب الدبابات القادمة ، عَبْر مرآة سيارته ، مغمغمًا فى سخرية :

— أربع دبابات ؟!.. يا إلهى !!.. ينبغى أن يجعلنا هذا نشعر بالفخر يا عزيزتى ، فهو يَعْنِى أن هذه قوتنا .

غمغمت (منى) فى توتّر :

— إنه يجعلنى أشعر بالخوف فحسب .

ثم أضافت فى عصبيّة :

— وبالدهشة لذلك الأسلوب المسرحىّ ، الذى تهوَى اتباعه .

ابتسم قائلًا :

— أىّ أسلوب مسرحىّ هذا يا عزيزتى ؟

لوّحت بذراعها ، صائحة فى حنق :

— هل لك أن تجد لى سببًا واحدًا ، لتلك المسرحية التى قمت بها ، قبل أن تلقى القنبلة الخداعية على سيارة هؤلاء

الأوغاد ؟!.. كان من الممكن أن تلقيها عليهم فى مناورة مدروسة ، بدلًا من أن نتوقّف ، ونعرّض أنفسنا للموت فور التوقّف .

أجابها فى بساطة :

— لو أنك تطلبين سببًا واحدًا ، فسأمنحك إيّاه ، وإن كنت أملك فى الواقع عدة أسباب أخرى .

هتفت مُختَنِقة :

— مثل ماذا ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يتابع الدبابات ، فى مرآة السيارة :

— أولًا : لو أننا حاولنا مناورة السيارات الثلاث ، لإلقاء القنبلة على إحداها ، لكان علينا أن نقترب منها إلى الحدّ الكافى ، مما يضعنا فى مرمى نيران خمسة عشر مدفعًا آليًا ، ويجعل احتمال نجاتنا أقرب إلى الصفر ، وثانيًا : كنت واثقًا من أن هؤلاء الأوغاد لن يلجئوا إلى قتلنا ، عندما نستسلم لهم ؛ لأنهم واثقون من تفوّقهم العددىّ ، ممّا يلغى من عقولهم أى احتمال للخداع من جانبنا ؛ ولأنهم سيرغبون فى استعراض قوتهم ، مما يجعلهم يبقون علينا أحياء بعض الوقت ، ولأنهم يرغبون فى إرضاء زعيمهم ، وإثبات قوتهم له ، مما سيدفعهم

إلى اقتناصنا وتقديمنا إليه أحياء .. أما السبب الثالث : فهو أننى كنت أرغب فى معرفة مدى تدريبهم ، ومهاراتهم فى الوسائل القتالية ، ورابعًا : لأننا كنا نحتاج إلى الأسلحة ، ولقد حصلنا عليها ، و .....

انقطعت عبارته بدوىّ قنبلة شديدة ، انفجرت على قيد أمتار خلف سيارته ، فهتف فى حزم :

ـــ تشبثى بمقعدك يا عزيزتى .. لقد بدأت المعركة .

لم يكن من الممكن أن يزيد من سرعة السيارة كيلومترًا واحدًا ؛ إذ كان ينطلق بسرعتها القصوى بالفعل ؛ لذا فقد راح يناور بها فى خطوط بالغة التعرج ، محاولًا تفادى قذائف الدبابات الأربع ، التى راحت تنهال عليهما كالمطر ، حتى أن (منى) قد صرخت بأعلى صوتها ، فى محاولة لتجاوز دوىّ الانفجارات ، وهى تقول :

ـــ للمرّة الثانية لا نملك سلاحًا يناسب المعركة ، فتلك المدافع الآلية ، التى استولينا عليها ، لن يمكنها مواجهة الدبابات ، وهذه الدبابات سريعة للغاية .

أضاف فى هدوء بعث ارتجافة فى أوصالها :

ـــ والوقود يوشك على النفاد .

انتفض جسدها كله ، وهى تهتف فى هلع :

ـــ ماذا ؟!.. أتعنى أننا سنضطر لمواجهة أربع دبابات ، وسيارة مصفحة ، بأربع مدافع آلية ، وبضعة صناديق ذخيرة .

أضاف فى حزم :

ـــ وعقلين .

هتفت فى حيرة :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابها فى قوة :

ـــ أعنى أننا لو واجهنا هذا الجيش الصغير بالقوة فقط ، فالنتيجة الحتمية هى هزيمتنا ؛ لذا فمن المهم أن نلجأ إلى الحيلة .

هتفت فى هلع :

ـــ هل ستتظاهر بالاستسلام مرّة أخرى ؟

ابتسم قائلًا :

ـــ بالطبع لا .. فأنا أكره أن ألجأ للوسيلة ذاتها مرّتين ؛ إذ أن هذا يُوحى بمحدودية التفكير ، كما أن هؤلاء الأوغاد لن يصدقوا ذلك بعد أن عثروا على التوّ جثث رفاقهم .

التفتت تتطلع إلى الدبابات فى هلع ، هاتفة :

ـــ ماذا سنفعل إذن ؟

أجاب فى حزم :

ـــ سنحاول استخدام إمكاناتنا إلى أقصى حدّ ، وسنعمل على أن نحدد نحن أرض المعركة ، بما يتفق وصالحنا .

لم يكد يتم العبارة ، حتى انحرف عن الطريق الممهَّد بغتة ، وانطلق نحو الجبال ، مستطردًا فى لهجة أشبه بالجَذَل :

ـــ ولا يقلقنك ذلك يا عزيزتى ، فالأمر كله يعيد إلىّ ذكريات جميلة ، أيام عمل بالقوات الخاصة .

تطلّعت إليه فى حَيْرة ، وقد أدهشتها تلك الروح ، التى يقاتل بها دوْمًا ، وكأنما يؤدّى عملًا لطيفًا ، يَرُوق له ، ثم هزّت رأسها ، مغمغمة :

ـــ يا لك من رجل !

ابتسم فى هدوء ، ثم انحرف مرّة أخرى ، داخل ممر جبلى ضيق ، وراح ينطلق داخله ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، متمتمًا :

ـــ رائع .. إنه مكان مثالىّ .

ثم أوقف السيارة ، وقال لـ (منى) فى حزم :

ـــ اهبطى .

سألته فى حماس :

ـــ إلى أين سنذهب ؟

أجابها وهو يشير إلى منطقة تكتّلت فيها الصخور :

ـــ احملى معك مِدْفعَيْن آليَّيْن ، واصعدى إلى هناك ، وانتظرينى .

سألته فى اهتمام ، وهى تلتقط المِدْفعَيْن :

ـــ وإلى أين ستذهب أنت ؟

قفز خارج السيارة ، وانتزع قطعة معدنية حادّة ، وانحنى أسفل السيارة ، قائلًا :

ـــ سأعِدّ الفخ الأوّل يا عزيزتى .

تصاعدت إلى أنفها رائحة بنزين ، فهتفت :

ـــ هل ستثقب خزان الوقود؟

أجابها وهو يعتدل ، ويقفز خلف عجلة القيادة :

ـــ إنه شبه خال يا عزيزتى .

رأت خيطًا فى الوقود يتبع السيارة ، وهو يعود بها عدة أمتار إلى الخلف ، فهزّت كتفيها ، مغمغمة مرّة أخرى :

ـــ يا له من رجل !

أوقف هو السيارة ، ثم قفز منها ، وأسرع إليها ، وهو يحمل مِدفعين آليّين آخرين ، وعدّة صناديق للذخيرة ، وقال :

ـــ هيّا .. سنختفى هناك .



أسرعا بحطيان المرتفع الصخرى ، حتى بلغا صخرة ضخمة ، دفع (أدهم) (منى) خلفها ، وقفز إلى جوارها ..

أسرعا بحطيان المرتفع الصخرى ، حتى بلغا صخرة ضخمة ، دفع (أدهم) (منى) خلفها ، وقفز إلى جوارها ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها صوت الدبابات ، وهى تقترب ، فغمغمت (منى) فى انفعال :

ــ هل ستكفى السيارة ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ لا بالطبع .. سنلجأ إلى بعض الأدوات المعاونة .

قالها وهو ينتزع علبة من عُلَبِ الذخيرة ، وأفرغ ما بها من رصاصات ، وراح يضرب المقذوف المعدنى للرصاصات بالصخر ، فى مهارة خاصة ، تجعل المقذوف ينفصل عن المظروف ، وبعدها يفرغ البارود اللادُخانىّ ، الذى يملأ المظروف ، داخل عُلبة الذخيرة الفارغة ، فقالت له (منى) ، وهى تتابع بأذنيها اقتراب الدبابات السريع :

ــ هل تحاول صنع قنبلة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينطق ، فقالت فى قلق :

ــ ولكن كل هذه الرصاصات لن تكفى إلا لصنع قنبلة واحدة على الأكثر .

ابتسم قائلاً :

ــ هذا كل ما أحتاج إليه يا عزيزتى .

لاحت لها الدبابات الأربع ، وهى تدلف إلى الممرّ الجبلىّ ، خلف السيارة المصفّحة ، فارتجف جسدها ، وهى تغمغم :

ــ أظن أن لحظة الاختبار الحقيقية قد حانت .

مزّق قطعة من قميصه ، وأشعل فيها النيران ، وهو يقول فى حزم صارم :

ــ صدقت يا عزيزتى .. لقد حانت اللحظة الحاسمة .

وبمهارة فائقة ، ألقى قطعة القماش المشتعلة ، لتسقط فوق بداية خيط البنزين ، وتشعل فيها النيران ، التى امتدّت عَبْرَ خيط الوقود فى سرعة مدهشة إلى السيارة ..

وصاح (سيلفيو) ، من السيارة المصفحة :

ــ احترسوا .. إنه كمين .. ابـ .....

وقبل أن يتم عبارته ، كانت النيران قد بلغت السيارة ، التى انفجرت فى قوة ..

وقبل أن يتلاشى دوىّ الانفجار ، كانت مدافع الدبابات الأربع تستدير وترتفع إلى حيث اختفى (أدهم) و (منى) ..

ودوّى الانفجار الثانى ..

* * *

٩ ــ الثعالب ..

ارتشف (ألفريدو) رشفة من كأس (التكيلا) ، وهو يتطلّع فى سخرية إلى حيث يقف (بانشو) ، مُوليًا إيّاه ظهره ، أمام الخريطة الضخمة ، ثم تنحنح ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ إلى أى حدّ بلغت حربك يا سنيور (بانشو) ؟

أجابه (بانشو) فى اهتمام ، دون أن يلتفت إليه :

ــ أظننا سننتصر هذه المرّة أيها الأمريكى .

كتم الطيار ، فى اللحظة الأخيرة ، ضحكة كادت تنفجر من بين شفتيه ، وبذل جهدًا للسيطرة على لهجته ، وهو يقول :

ــ عجبًا !!.. أراك تستخدم الآن كلمة (أظن) يا سنيور (بانشو) .

التفت إليه (بانشو) ، وهو يعقد حاجبيه فى قوّة ، ويقول فى غضب :

ــ إلى أى جانب تنتمى يا سنيور (ألفريدو) ؟

غضّ حلق الأمريكى بتلك النظرة الصارمة ، فسعل فى قوة ، واحتقن وجهه فى شدة ، قبل أن يقول فى صعوبة :

— إلى جانبك بالطبع يا سنيور (بانشو) .

ازداد انعقاد حاجبى (بانشو) ، وهو يقول فى حدة :

— يراودنى الشك فى هذا أحيانًا .

تنحنح (ألفريدو) مرّة أخرى ، وقال :

— مطلقًا يا سنيور (بانشو) .. إننى أتابع المعركة فى شغف حقيقىّ ، فلقد كنت فيما سبق طيّارًا حربيًّا .

حدّق (بانشو) فى وجهه لحظات ، ثم تألقت عيناه ، وهو يقول فى انفعال مباغت قوىّ :

— كنت طيّارًا حربيًّا ؟

ثم التفت إلى خريطته فى حركة حادّة ، مستطردًا :

— هذا صحيح .. يا للشيطان !!.. هذا رائع بالفعل .

وعاد يلتفت إلى (ألفريدو) مرّة أخرى ، مردفًا :

— أتعلم ما الذى ينقص حربنا هذه يا سنيور (ألفريدو) ؟

ازدرد الطيار لُعابه ، وهو يغمغم :

— ماذا يا سنيور (بانشو) ؟

تألقت عينا (بانشو) ، وهو يهتف :

— سلاح الطيران .

ارتجف جسد (ألفريدو) ، وحاول أن يطرد من رأسه تلك الفكرة ، التى دفعه إليها (بانشو) ، وهو يغمغم :

— سلاح ماذا ؟

هتف (بانشو) فى حماس :

— سلاح الطيران يا سنيور (ألفريدو) .. لقد دخلت المعركة بالمشاة ، فكانت الهزيمة نصيبهم ، والآن أنا أهاجم بسلاح المدرعات ، ولكن المعركة تنقصها مظلة جويّة .

ازدرد الطيار لُعابه ، مغمغمًا :

— ولكنك لا تملك طائرات حربية للأسف يا سنيور (بانشو) ، و .....

قاطعه (بانشو) ، وعيناه تزدادان تألّقًا :

— مَنْ قال هذا ؟

حدّق الطيار فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— كنت أظن تلك الهليوكوبتر هى .....

قاطعه (بانشو) مرّة أخرى فى انفعال :

— إننى أحتفظ بالحلْوى عادة للنهاية أيها الأمريكى .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردًا في حماس :

ــ اتبعني يا سنيور .

نهض الطيار من مقعده في حنق ، وراح يَشُبُّ ساخطًا ، وهو يتبع (بانشو) بنفس الخطوات السريعة ، حتى توقفا أمام باب كبير ، أشار (بانشو) إلى الحارس الواقف أمامه ، قائلًا :

ــ افتح الباب .

أدى الحارس تحية عسكرية ، وأسرع يفتح الباب ، فاتسعت عينا الأمريكي في انبهار ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !!

فأمامه كانت تقف هليوكوبتر حربية من طراز حديث ، أنيقة قويّة لامعة ، أشار إليها (بانشو) ، قائلًا في زهو :

ــ لقد كلّفني اقتناؤها ثروة .

لم يتمالك الطيار الأمريكي أن هتف :

ــ إنها تحفة رائعة ..

انتفخت أوداج (بانشو) زهوًا ، وهو يقول :

ــ إنها تحوي أربعة مدافع آلية ، وستة صواريخ ، ويمكنها الانطلاق بسرعة مخيفة ، ومناورة مقاتلة نفاثة ، و .....

عاد الطيار يهتف في انبهار :

ــ إنها رائعة .

واندفع نحوها يتحسسها مشدوهًا ، قبل أن يهتف :

ــ بهذه التحفة يمكنك مقاتلة كتيبة حربية كاملة يا سنيور (بانشو) .

تألقت عينا (بانشو) ، وهو يقول في حزم :

ــ لست أرغب في مقاتلة الكتائب الحربية .. أريد منك أن تقود هذه التحفة ، التي أحتفظ بها للطوارئ ، للقضاء على ذلك الشيطان المصري وزميله ، وسأمنحك مائة ألف دولار ، لو نجحت في التخلص منهما .

التهبت عينا الطيار ببريق الشهوة ، وهو يقول :

ــ سأفعل يا سنيور (بانشو) ..

وعاد يتحسس جسم الهليوكوبتر ، مضيفًا :

ــ سأفعل حتمًا .

* * *

استدارت مدافع الدبابات الأربع ، وارتفعت نحو الصخرة الضخمة ، حيث يختفي (أدهم) و (منى) ..

ولكن الانفجار لم ينشأ من إحداها ..

لقد دوَى من حيث الصخرة نفسها ..

وكان مبعث الانفجار هو تلك العُلبة، الممتلئة بالبارود اللادُخانيّ، التي صنعها (أدهم)، ووضعها إلى جوار الصخرة ..

ومع دوِىّ الانفجار، لمح (سيلفيو) (أدهم) و (منى) يَعْدُوان مبتعدَيْن، فصرخ فى ثورة :

ـ لقد هربا .. أطلقوا النار يا رجال ..

ولكن أحدًا لم يسمعه ..

وأحدًا لم يشعر به ..

لقد زلزل الانفجار الصخرة الضخمة من موضعها، فهَوَت فوق الجيش الصغير، مع الآلاف من الصخور، من مختلف الأحجام ..

وانسحقت إحدى الدبابات الأربع تحت الصخرة الضخمة، وهَوَت الصخور الأخرى فوق الدبابات الثلاث، واحتمى (سيلفيو) بسيارته المدرَّعة، هاتفًا :

ـ اللعنة .. إننا نواجه شيطانًا .

استمرّ انهيار الصخور بعض الوقت، و (أدهم) و (منى) يرتفعان إلى قمة التل، وهى تهتف :

ـ أنت عبقرىّ يا (أدهم) .

ضحك قائلًا :

ـ بل هى خبرة سابقة يا عزيزتى، فلقد كانت لى جولة مع الجيش الإسرائيلى، فى منطقة الممرّات، أيام حرب أكتوبر، وهذا الموقف يذكّرنى بها .

هتفت وهو يعاونها على الصعود :

ـ إنك لم تذكر لى هذا من قبل .

أجابها وهو يرفعها إلى قمة المرتفع :

ـ لقد كان ذلك مع بداية الحرب، عندما أسندت إلىّ فرقتى مهمّة إعاقة إمدادات العدوّ، و .....

كانا قد بلغا التل، فابتسم، مغمغمًا :

ـ سأقصُّ عليك هذه القصّة فيما بعد .

لم يكد يتم عبارته، حتى انفجرت قنبلة على بعد أمتار منهما، دفعت جسديهما بعيدًا، وألقتهما أرضًا، فقفز (أدهم) واقفًا، وهو يهتف :

ـ لقد استعادت الدبابات قوتها .. هيّا نبتعد فى سرعة، قبل أن .....

قاطعته آهة ألم قويّة، انطلقت من بين شفتيها، قبل أن تهتف فى ألم شديد :

ـ لقد التوى كاحلى .. لقد دفعتنى تلك القنبلة فى عُنف ، و .....

انفجرت قنبلة أخرى ، لتقطع عبارتها ، وتلقى (أدهم) أرضًا ، فأسرع إليها زاحفًا ، وقال فى حزم :

ـ حسنًا .. سأحملك .. المهم أن نبتعد ..

هتفت فى ألم :

ـ سيُعوقك هذا كثيرًا ، ابتعد وحدك .. فلن .....

قاطعها فى حزم :

ـ صَهْ .. لن أبتعد دُونك ، وأنت تعلمين هذا .

كانت تعلم أنه لن يتركها وحدها ، ولكنها كانت تشفق عليه من أن يعُوقه هذا ، ويتسبَّب فى وقوعه فى يد خصومهما ، فغمغمت فى مرارة :

ـ يبدو أنه من الأفضل ألا أشاركك فى مهمَّاتك فيما بعد .

أطلق ضحكة مرحة ، بدت عجيبة فى ذلك الموقف ، وهو يقول :

ـ هذا لو أمكننا القيام بمهمَّات أخرى يا عزيزتى .



فأسرع إليها زاحفًا ، وقال فى حزم :
ـ حسنًا .. سأحملك .. المهم أن نبتعد ..

قالها وحملها على ذراعيه فى رشاقة ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى انفجرت قنبلة أخرى أكثر قربًا ، فألقتهما أرضًا ، وشعر (أدهم) بآلام شديدة فى ذراعه ، وأدرك من ذلك الخيط الدافئ اللزج ، الذى سال على الذراع ، أن إحدى شظايا القنبلة قد أصابته ، إلا أنه أخفى ذلك فى بسالة ، وهو يقول لـ (منى) مبتسمًا :

— يبدو أن هؤلاء الأوغاد يصرُّون على إبقائنا أرضًا .

ثم ربّت على شعرها فى حنان ، مستطردًا :

— ولكننا لن نسمح لهم .

ونهض حاملًا مدفعيه الآليين ، مردفًا فى حزم :

— وسنحاربهم بأسلوبنا .

سألته فى إشفاق :

— أى أسلوب هذا ؟

ابتسم قائلًا :

— بأسلوب الصاعقة القديم يا عزيزتى .

وارتفعت هامته ، وهو يستطرد فى حزم :

— الرجل ضد الدبابة .

اتسعت عيناها هلعًا ، وهتفت :

— مُحال يا (أدهم) .. إنك ستواجه ثلاث دبابات ، وليس واحدة .. هذا .....

دوّى انفجار قنبلة ثالثة ، ولكنه لم يسقط ، وإنما مال قليلًا إلى الأمام ، ثم اعتدل ملوحًا بقبضته فى قوّة ، هاتفًا :

— لا سقوط مرّة أخرى أيها الأوغاد .

أتاه صوت شامت يهتف :

— تقصد لا نهوض أيها المصرىّ .

وكان صاحب الصوت هو (سيلفيو) ، الذى يحمل مدفعه الآلىّ ، ويصوّبه إلى (أدهم) ، وعيناه يطلّ منهما بريق الشماتة والوحشية ..

والموت ..

* * *



١٠ ـــ القوّة ..

خفق قلب (منى) فى قوّة ، وهى تحدّق فى فوّهة مدفع (سيلفيو) الآلىّ ، وشعرت بيأس هائل ، وهى تنقل بصرها إلى (أدهم) ، الذى استدار يواجه الرجل فى هدوء ، قائلاً فى لهجة أقرب إلى السُّخرية :

ـــ رائع أيها الوغد .. لقد أدرت المعركة بأسلوب عبقرىّ حتى هذه اللحظة .

تألّقت عينا (سيلفيو) ، وهو يقول :

ـــ إنّى أستحق هذا المديح بالفعل أيها الشيطان ، فلقد دفعت طواقم الدبابات الثلاث إلى إطلاق قذائفها ، على نحو متصل ، ليتسنى لى الصعود إلى هنا ، ومفاجأتكم على هذا النحو .

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ يا للرّوعة !!.. لقد وضعت خطّتك فى مهارة ، ولكنك نسيت نقطة واحدة .

انعقد حاجبا (سيلفيو) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ لا أيها الشيطان .. لم أنس شيئًا .

بدت لهجة (أدهم) صارمة ، وهو يقول :

ـــ بل نسيت .

ثم ارتفعت فوّهة مدفعه نحو (سيلفيو) ، وهو يستطرد فى حدّة :

ـــ فما زلت أحمل سلاحى .

وانطلقت من فوّهة مدفعه دفعة من الرصاصات ، اخترقت صدر (سيلفيو) ، ودفعته جاحظ العينين إلى الخلف فى عنف ..

وهنا أتى (أدهم) عملاً لم تفهمه (منى) فى حينها قطّ ..

لقد اندفع فجأة نحو جسد (سيلفيو) ، والتقطه بين ذراعيه بسرعة خرافية ، قبل أن يهوىَ من فوق المرتفع ، ثم جذبه إلى الداخل ، فهتفت (منى) :

ـــ لماذا فعلت هذا ؟.. لقد خاطرت بنفسك .

لهث وهو يجذب إليه جثة (سيلفيو) ، قائلاً :

ـــ هذا الوغد سيمنحنا جواز مرور من هذه القمّة يا عزيزتى .

سألته في حيرة :

ــ كيف ؟

لم يجب ، ولكنها أدركت ما يعنيه ..

أدركته عندما رأته ينزع عن (سيلفيو) ثيابه ..

وابتسمت ..

قال قائد طاقم إحدى الدبابات الثلاث ، عبْرَ جهاز اللاسلكي ، وهو يدير عينيه فيما حوله في قلق :

ــ لسنا ندرى ما حدث يا سنيور (بانشو) .. لقد صعد (سيلفيو) إلى قمة التل ، وسمعنا صوت رصاصات تنطلق هناك ، ثم ساد الصمت .

هتف (بانشو) عبْرَ اللاسلكي :

ــ ألم يعُد (سيلفيو) ؟.. ألم تعرفوا ما حدث ؟

أجابه قائد الطاقم في توتُّر :

ــ لا يا سنيور (بانشو) .. إننا نجهل كل شيء .

هتف به في حِدّة :

ــ واصلوا إطلاق قذائفكم على قمة التل إذن ، وانسفوا التل من قاعدته لو لزم الأمر ..

قال قائد الطاقم :

ــ ولكن (سيلفيو) .....

قاطعه هاتفًا :

ــ فليذهب (سيلفيو) إلى الجحيم .. فليذهب كل شيء إلى الجحيم .. المهم أن تظفروا بهذا الشيطان ..

هتف قائد الطاقم :

ــ ها هو ذا (سيلفيو) يا سيِّدي .. إنه يقترب منَّا .. إنني أراه في وضوح .

صاح (بانشو) ، عبْرَ اللاسلكي :

ــ هل عاد ؟!.. مرْحَى !! هذا يعني أنه قد تخلَّص من الشيطان .. يا للرَّوعة !!.. أخبره أنني سأمنحه مكافأة سخيَّة ، و .....

قاطعه صوت قائد الطاقم ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !!.. ولكنه ليس (سيلفيو) .. ليس هو ..

هتف (بانشو) في جنون :

ــ اقتلوه .. اقتلوه على الفور .

قفز قائد الطاقم نحو مدفع الدبابة الآليّ ، ورفعه نحو تلك النقطة ، التي رأى فيها (أدهم) ، في زيّ (سيلفيو) ، ثم تراجع في ذهول ..

فلم يكن (أدهم) هناك ..

وارتجف صوت قائد الطاقم ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ أين اختفى ذلك الرجل ؟.. أين ؟..

وفجأة ، انفتحت كُوَّة الدبابة العلوية ، وارتفع صوت ساخر يقول :

ــ هنا ..

ثم انزلق جسد (أدهم صبرى) إلى الداخل ..

* * *

يتكوَّن طاقم الدبابات عادة من أربعة أفراد ، يتولَّى أحدهم إدارة المحرِّكات ، والآخر توجيه المدفع ، والثالث مراقبة الطريق ، واستخدام المدفع الآلىّ الأمامىّ ، والرابع المراقبة الخلفية ، واستخدام المدفع الآلىّ الخلفىّ ..

أما فى تلك الدبابات الحديثة ، فالطاقم يتكوَّن عادةً من فردين فحسب ، حيث يكون التوجيه إليكترونيًّا فى المعتاد ..

ولقد هبط (أدهم) على رأسى الفردين كالصاعقة ..

وقبل أن يفتح أولهما فكَّيه ، كانت أسنانه كلها قد تحطَّمت ، وقبل أن يتلاشى أثر المفاجأة من الثانى ، كان أنفه قد تحوَّل إلى كومة من اللَّحم المفرى ..

وفى سرعة ، حمل (أدهم) الجسدين ، وألقاهما خارج الدبابة ، فى الوقت الذى استدار فيه مدفعا الدبابتين الأخريين نحوه ، وقد أدرك طاقمهما الأمر ..

وفجأة ، انهال وابل من الرصاصات على الدبابتين ..

لم تكن الرصاصات لتؤذى الجسدين المدرعين ، ولكنها كانت كافية لتشتيت انتباه قادتهما فحسب ، حتى يدير (أدهم) مدفعه إليهما ..

وتهلَّلت أسارير (منى) ، وهى تحمل المدفع الآلىّ ، الذى أطلقت منه الرصاصات على الدبابتين ، من فوق قمة التل ، عندما دوَّى صوت قنبلة المدفع ، التى أطلقها (أدهم) من دبَّابته ، نحو الدبابة الأخرى ..

وأطاحت قنبلة (أدهم) ببرج الدبابة الأولى ، ثم استدار مدفعه نحو الثانية ..

وانطلقت قنبلة مرَّة أخرى ..

وانفجر برج الدبابة الثانية ..

وفى زهو ، دفع (أدهم) كُوَّة برج دبابته ، وصعد إلى سطحها ، هاتفًا :

ــ لقد خسرتم هذه الجولة أيضًا أيها الأوغاد .

اندفع الرجال الأربعة خارج الدبابتين ، وهتف أحدهم في غضب :

— من السهل أن تتبجح ، عندما تملك دبابة كاملة ، في مواجهة أربعة من العُزّل .

تألقت عينا (أدهم) في حزم ، وهو يقول :

— صدقت .

ثم قفز من سطح الدبّابة إلى الأرض ، وضمّ قبضتيه ، مستطردًا :

— ما رأيك في هذا ؟

تطلّع إليه الرجال الأربعة في دهشة ، ثم لم تلبث دهشتهم أن تحوّلت إلى ابتسامة ساخرة ، قبل أن يهتف أحدهم :

— فلنلقّنه درسًا يا رجال ..

واندفع الأربعة نحو (أدهم) ، وهم يتصوّرون أنهم إزاء معركة بسيطة من السهل أن يمزّقوا خلالها خصمهم إربًا ..

ثم جاءتهم الحقيقة كالصاعقة ..

جاءتهم على هيئة حفنة من اللّكمات والرّكلات ، حطمت منهم الأنوف والأسنان والفكوك ..

وقبل أن يراودهم الشعور بالندم ، كانوا جميعًا في غيبوبة عميقة ، و (أدهم) فوق رءوسهم ، يبتسم في سخرية ، قائلًا :

— يا له من درس !

ثم راح يصعد التل في سرعة وخفّة ، حتى بلغ (منى) ، فهتف في مرح :

— ما رأيك فيّ يا أميرتي ؟. لقد انتهت هذه الجولة أيضًا لصالحنا .

ابتسمت وهي تقول في حنان :

لقد اعتدت هذا معك يا عزيزي .

انحنى يحملها بين ذراعيه ، وتطلّع إلى عينيها طويلًا ، قبل أن يغمغم في عاطفة :

— كم أتمنى أن أحملك يومًا إلى منزلنا يا (منى) !!

خفضت عينيها في حياء ، وهي تغمغم :

— مَنْ يدري ؟.. ربما حدث هذا يومًا .

غمغم في حنان :

— ومتى يأتي ذلك اليوم ؟

تضاعف خجلها ، وهي تغمغم :

— مَنْ يدري ؟

ابتسم في عاطفة مشبوبة ، وهمّ بقول شيء ما ، إلّا أنه لم يلبث أن استعاد جدّيته ، وهو يقول :

— أتعلمين يا أميرتى ؟.. أظننا سنذهب إلى ذلك الإرهابىّ الوغد داخل واحدة من دباباته .

ضحكت قائلة :

— أراهن أن هذا سيحرقه غضبًا ، أو .....

بترت عبارتها هذه المرّة ، عندما بلغ مسامعهما أزيز طائرة مروحية تقترب ، واعتدل (أدهم) على نحو حاد ، وهو يهتف :

— اللعنة !!.. لقد لجأ ذلك الوغد إلى الحرب الجويّة .

ثم أسرع يهبط التل ، حاملًا (منى) ، التى تعلّق بصرها بالهليوكوبتر ، التى أقبلت من بعيد ، وقالت فى قلق :

— أظن أنه من الحتّم أن تتركنى هذه المرّة يا (أدهم) ، فلن .....

هتف فى صرامة :

— صه .. سنبلغ هذه الدبابة ، وعندئذ .....

وفجأة ، انطلق من الهليوكوبتر صاروخ صغير ، اندفع يجر ذيلًا من اللهب إلى حيث توقفت الدبابة ، وارتطم بها ، و .....

وانفجرت ..

وتراجع (أدهم) فى حدّة ، مع انفجار الدبابة ، وهتف :

— اللعنة !.. لقد أدرك الوغد هدفنا ..

وكان على حق ..

ففى الهليوكوبتر ، تألقت عينا (ألفريدو) فى شراسة ، وهو يقول :

— ها نحن أولاء نلتقى مرّة أخرى يا (أدهم صبرى) ، وفى هذه المرّة تدور المعركة بيننا شخصيًّا ..

وأمسك عصا إطلاق الصواريخ ، وهو يردف فى شهوة :

— كم يروق لى أن أنسفك نسفًا ، كما فعلت بمخدومى السابق (جيمس براند) ..

وتابع على شاشة الإطلاق صورة (أدهم) و (منى) ، وهذا الأوّل يعدو حاملًا الثانية ، فى محاولة للفرار من الهليوكوبتر ، وابتسم فى جذل ، مغمغمًا :

— الوداع أيها الشيطان المصرىّ .. الوداع .

وعندما أصبح جسدا (أدهم) و (منى) فى منتصف شاشة التصويب تمامًا ، ضغط زرّ الإطلاق ..

وانطلق الصاروخ القاتل نحو هدفه ..

نحو (أدهم) و (منى) ..

* * *

[انتهى الجزء الأوّل بحمد الله ، ويليه الجزء الثانى]

(صفقة الموت)

رقم الإيداع : ٣٦١٩